
فضيلة العلّامة الكبير
محمّد أمين شيخو
قدّس الله سِرّه

مصادر مياه الينابيع في العالم

حوار مع العالم الكبير السير «بينيت»

وبحث كشوفات سر الختان

ماهي النفس ؟. وأين مركز وجودها ؟. وما هي وظيفتها ؟...

ماهي الروح ؟... ماهو الفكر ؟... ماهية العقل ؟ ...

حققه وقدم له
المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد سيّد الأنبياء والمرسلين، من بعثه تعالى رحمـــةً للعالمين وسراجاً منيراً للمتقين ليُسعد بني الإنسان ويسمو بهم من ظُلمات الجهل والعمى إلى بحار العلـــم والحكمة، إلى مرابع التفكير والاستعظام والإيمان، إلى مراتع التسامح والمحبة والمودّة والإخاء والإيثار، إلى كافة الكمالات وعالي الشمائل والصفات، وطوبى لمن على نهجه سار وبه استنار.

وها هو ذا سيدنا العظيم، مرشدنا الرحيم، صاحب هذه الدلالة السامية العالية، من هجر الهوى المهلك إلى رحاب المنطق وأيقظ الفكر الإنساني من سباتِهِ العميق، الذي قضى عمراً غالياً جليلاً طافحاً بجلائل الأعمال.

هذه النفس التي ما تنفَّست إلا هوىً علوياً سامياً، فتفجَّرت ينابيع الحكمة على قلبه ولسانه وجرت على يديه أنهار من عظائم وجلائل الأعمال العالية، ينتصر للحق هنا ويهرم الباطل هناك، يساعد مسكيناً هنا، ويعطف على يتيم هناك، ويقيل عثار من لا ناصر له ولا معين، ويسمو بالنفوس للواحد الأحـــد منبـــع الكمال والأسماء الحسنى.

وكم ضحّى بحياته الشريفة لرفع الظلم والجور ومساعدة المحتاج ملتجئاً إلى من يخب من التجأ إليه وعاذ به إلى العلي القدير من بيده مقاليد الأمور.

فمن أين جاء هذا الرجل العظيم بما جاء به من بليغ القول ورفيع الدلالة وسامي الأخلاق!... فاق بشجاعته الصناديد والأبطال، وبذَّ برأيه الثاقب وحسن تدبُّره الأمور أعظم الساسة وأكبر الحكماء، ويبدو في علمه كأنه البحر الزاخر لا يقف عند حد وليس له انتهاء، ويسمو بحلمه ورقته ولطيف معاملته فوق كل ذي مكانةٍ ومقام.

فاق في علمه كل عالم وسما بخُلقه العالي على كل ذي خلُق فاضل، قارع بالحجة الدامغة كل معارض ومعاند فتتحطم أمام حججه كل مناقشةٍ لها صلة بباطل، وتزهق المعارضة وينبلج الحق ويلمع كالصبح السافر، والكوكب الساطع في الظلام الملهم الحالك، فمن الذي بثَّ في نفسه ما بثَّ من سمو، ومن أين له ذلك؟...

إنه من حبّه لله واتباعه لرسول الله ﷺ:

فيا أيها الناس إن شئتم علماً غزيراً وحلماً كثيراً وخُلقاً سامياً ورأياً ثاقباً، وإن رمتم عقلاً راجحاً كبيراً، وإن أردتم شجاعةً وقلباً ثابتاً لا تزلزله الخطوب وجأشاً رابطاً لا تفل منه الخطوب والزلازل.

إن رمتم حياةً هنيئةً طيبة وراحة نفسية دائمة وشرباً من معين الحب الإلّهي وتمتُّعاً بسعادة أبدية خالدة.

فعوذوا والتجئوا وآمنوا برب الناس، عندها رب الناس معكم مؤيدكم ومدافع عنكم، قال تعالى:

﴿..وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [1].

---

[1] سورة الحج: الآية (40).

وإليكم هذه الرحلة الفكرية مع "**السير بينت**" الإنكليزي إلى أقاصـــي الـــدنيا إلى القطـــب الجنـــوبي والشمالي، إلى الجبال الجليدية التي يُذهب سنا بريقها بالأبصار.

وهذا غيض مما أفاض به هذا السيد الرحيم:

العلامة الكبير السيد **محمد** أمين **شيخو** قُدِّس سره العالي الكريم.

تقديم الأستاذ المربي:

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عصر الدراسات والبحوث العلمية، قد أطلَّ منذ أمد ليس بالبعيد يتوالى فيه الباحثون، ويُسْلم بعضهم بعضاً مقاليد البحث والتقصّي، يعكفون الليالي المطوَّلة على الاستكشاف، يمضون سحابة أعمارهم بين الكتب والدفاتر والمجلدات، ويظل الكثيرون منهم قد نكّد شخصيتهم الفضول فغاصوا في بحر لا يدري أحدهم كيف أبحر وإلى أين سيرسو!.

قصة العالم الربَّاني مع السير بينت الإنكليزي

«واقعة من تاريخ حياته مذ كان شمساً»

ما هي النفس وأين مركز وجودها. وما هي وظيفتها؟...

وما هي الروح وأين مركز وجودها. وما هي وظيفتها؟...

وماهية العقل وأين يوجد. وما هي وظيفته؟...

وما هو الفكر ومركزه ووظيفته وعلاقته بالعقل وعلاقة ما سبق ببعضه؟...

أسئلة مقدِّمةٌ لسؤال أكبر، سألها العالم الإنكليزي **السير بينت** لعالمنا الجليل. فمن هو "**السير بينت**"؟... وكيف تمَّ اللقاء؟... وما هو سؤاله الأكبر؟...

لابد لنا أن نعرف أولاً من هو السير بينت؟...

إنه رجل علمٍ وسياسة، ذكيٌّ وخبيرٌ، تسنَّم منصبَ مستشار للسلطان العثماني إبان قوة وعظمة الدولة التركية، كان ظاهره الإخلاص للدولة التركية. ثم ذهب إلى بلاده محققاً نصراً كبيراً، وشهرة عالية في المجال الدبلوماسي، وزاد في صدقه وبحثه حتى نال شهرةً عاليةً كبيرةً، إذ أصبح الفيلسوف الكبير والعالِم الفلكي اللامع صاحب المؤلَّفاتِ العالمية فأضحت مقالاته وعلومه ونظرياته تُنقل إلى معظم دول العالـــم

وتدرَّس في جامعاتها. وحصل على لقب "**سير**" وهذا اللقب من أعلى المراتب التي تُمنح لإنسان في نظم إنكلترا، ولا يحصل عليه إلا من قدَّم لبلاده خدمات جلّى وجسيمة.

ما ذُكِرَ نبذةٌ بسيطةٌ عن حياة وعلوم السير بينت، ولنعد الآن لنعرف الكيفية التي أدّت إلى لقائهما وإلى طرح الأسئلة أعلاه التي حيَّرت ألباب وعقول المفكرين والفلاسفة على مر الأجيال والقرون.

كان لعالمنا الجليل صديقاً أثناء خدمته، وهو من عليَّة القوم وذو شأن خطير بعهد فرنسا، يُدعى الأمير عبد المجيد حيدر، كان لهذا الأمير مكانةً مرموقةً، وسُمعةً عالية، ذكيٌ مثقفٌ، لم يترك مجالاً علمياً ولا أدبياً ولا اجتماعياً إلا وكان له به باعٌ طويلٌ، وهو من السلالة الهاشمية المنسوبين إلى سلالة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، من أسرة الشريف حسين بالحجاز.

أرادت فرنسا تنصيبه ملكاً على بلاد الشام أسوةً بالإنكليز الذين نصّبوا قريبيه بالنسب الملك فيصل على العراق وعبد الله على الأردن. ثم ولمجريات سياسية لا تهمنا أصبح سفيراً للأردن في لندن، وبعد تسنُّمه منصبه الجديد شاءت الأقدار بأن يلتقي ب**السير بينت**، وفي أحد الاجتماعات التي حضرها **الأمير حيدر مع السير بينت** قال **السير بينت** لمن حوله من العلماء:

سؤالٌ حيَّرني استغرقت به أربعين عاماً بحثاً واستفساراً وتنقيباً، ولا نتيجة، ولا ردّاً مُقنعاً، ولا جواباً شافٍ. أعَجزَ العالَمُ عن كشف هذه الحقيقة؟!...

الأمير حيدر: أنا أعلم ضالّتك المنشودة، أنا أعرف من يجيبك على سؤالك، ومن يزيح الستار عن غموض أسئلتك، ومن يكشف لك وجه الحقيقة، وأنا موقنٌ متأكدٌ مما أقول.

السير بينت: من هذا العظيم الذي سيشفي غليلي؟. من هذا الذي سيزيح الستار عن بُهمِ أسئلتي؟.

ما تركت بلداً، ولا فيلسوفاً، بل ولا عالماً مفكِّراً في معظم دول العالم وكبراها إلا وطرقت بابه، ولا جدوى، ولا رجاء، ثم أعود أدراجي خائباً!.

الأمير حيدر: غايتك في الشرق، في دمشق.

السير بينت: وقد تغيّرت ملامحه وبدا الاندهاش والاستغراب على مُحيّاه قائلاً: في الشرق؟. وفي دمشق؟. وبإمكانه أن يجيبني على سؤالي؟.

الأمير حيدر: ما أقوله الجد كل الجد، وإن كنت مهتمًّاً حقاً بسؤالك فعليك بالشام وفيها مدينة يُقال لها دمشق، إذ لا مجيب لك سوى ذاك الإنسان العظيم.

عندها قال **السير بينت**: أنا مستعدٌ للذهاب إليه حالاً.

وفعلاً أبرق **الأمير حيدر** إلى صاحبه في الشام وأخبره بقدوم **السير بينت**. وقام "**السير**" بالاتصال بالمطار لحجز مقعدٍ وعلى أول طائرة تقلع إلى دمشق.

أقلعت الطائرة واخترقت عنان السماء لتطوي بلداناً وبلداناً و"السير" داخلها في معزلٍ عمّن فيها، في معزلٍ عن ضوضائها، في معزل عن هبوطها وارتفاعها، يحدِّث نفسه من هذا العظيم؟... من أين استقى علومه؟... وتبدو أمامه صور وصور لهذا الإنسان العظيم يسائل نفسه أحقاً في دمشق؟... أحقاً... أحقاً... يا للعجب.

وهبطت الطائرة أرض المطار ليعلن ربّانها أنهم في دمشق. عندها أفاق **السير بينت** من رحلاته وتصوراته، وتوجَّه إلى فندق الشرق، هذا الفندق الذي كان وإلى عهدٍ قريبٍ يستقبل الرعايا الأجانب لفخامته وعراقته.

وتوجَّه **عالمنا الجليل** إلى الفندق يصحَبُهُ جمعٌ من إخوانه لترجمة الحوار بينهما، وفي الفندق رحَّب **عالمنا الجليل** بضيفه أشد الترحاب وجلسا طالباً منه أن يطرح سؤاله، وخلال البحث تبيّن أنهما يجيدان اللغة التركية مما جعل جو الحديث أكثر مرونة وفهماً واستغنيا عن المترجمين ؛ هناك طرح السير بينت أسئلته السابق ذكرها في مستهل بحثنا هذا. فأجاب **عالمنا الجليل** قائلاً:

النفس: هي ذات الإنسان المعنوية الشاعرة، وهي نور إلهي مركزها في الصدر وأشعتها سارية بواسطة الأعصاب في سائر أنحاء الجسد، وهذه النفس المسجونة في الجسد إنما تتعرّف بما يحيط بها من الأشياء بواسطة الحواس، فمن طريق العين تُبصر، وعن طريق الأذن تسمع وبالأنف تشمّ وبواسطة الجلد تحس وتلمس، وباللسان تذوق طعوم الأشياء، كما تعبّر به عمّا يجول فيها من الخواطر والأفكار، وبشيء من التفصيل نقول:

إذا وقف أحدنا مثلاً أمام شاطئ البحر فلا شك أن رؤيته للبحر تجعله يخشع أمام هذا المنظر ويستعظمه وهذا الخشوع والاستعظام إنما هو خشوع النفس واستعظامها.

وإذا وقع نظرنا على شخص عزيز على قلوبنا جُرحت يده جرحاً بليغاً، وجعل الدم يتقاطر منها، فلا بد أننا نحزن لهذا المشهد ونتألم على صاحبه، فهذا الحزن والألم الذي نجده إنما هو حزن النفس وألمها. وإذا كان أحد أقاربنا الذين نحبُّهم مسافراً سفراً بعيداً وسمعنا بعودته سالماً فهناك نسرُّ ونفرح، و مـــا ذاك إلاّ

فرح النفس وسرورها، وهكذا فالنفس هي العنصر الأساسي في الإنسان فهي التي تستعظم وتخشع وهي التي تحزن وتتكدّر، وتسرُّ وتفرح وترضى وتغضب وتتلذذ وتتألم وعليها المعوّل.

والنفس هي المخاطبة دوماً في القرآن، وهي المكلَّفة بالسير في طريق الحق، وهي التي تتألم عندما تُعالج وتُداوى، وهي التي تتنعّم في الجنان فلا تبغي عنها حولا. وسمِّيت بالنفس لقيمتها النفيسة. وهذا غيض من فيض ممَّا تكلّم به عالمنا الجليل عن النفس، إذ أضاف ممهِّداً لأصل النفس قائلاً:

في حديث شريف: «كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف فخلقتُ الخلقَ وعرَّفتهم بي فبي عرفوني»[1].

وتفصيلاً لمعنى هذا الحديث الشريف أقول:

الكنز: هو الشيء الثمين الجميل والمراد به في الحديث الشريف: ذلك الجمال الإلهي العظيم والكمال العالي الرفيع.

المخفي: الذي لا يعرفه أحد.

فأحببت أن أُعرف: تُشير إلى كرمه تعالى وكبير فضله لأن من شأن الكريم أن يظهر كرمه ويُفيض برَّه وإحسانه.

فخلقت الخلق: أي ليتنعَّموا بشهود ذلك الجمال الإلهي وليستغرقوا في رؤية ذلك الكمال الذي لا يتناهى، وهي تشير إلى إيجاده تعالى المخلوقات في ذلك العالم الذي يسمُّونه بعالم الأزل.

---

(1) قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾. وقد وافق على صحة الحديث الشيخ علي ملا القاري مستنداً إلى تأويل ابن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾. أي: ليعرفوني. وقد اعتمده الصوفية وابن عربي وبنوا عليه أُصولاً.

وعرَّفتهم بي: أي: أشهدهم عظمتي وفضلي عليهم في خلقهم.

فبي عرفوني: أي عن طريق رؤيتهم لأنفسهم توصَّلوا لمعرفتي فتمتعوا برؤية ذلك الكنز العالي ؛ إذ شاهدوا طرفاً من جمالي وكمالي.

وقد كانت المخلوقات أول ما خلقها الله تعالى في ذلك العالم "**عالم الأزل**" نفوساً مجردةً من الصور والأجساد، فالإنسان والحيوان والسماء والأرض، والمَلَك والجآنُّ، وإن شئت فقل:

كل المخلوقات كانت يومئذٍ من نوع واحد وذات صفة واحدة لا فرق ولا تفاوت بينها في شيء، وقد تمتَّعت هذه الأنفس كلها يومئذٍ برؤية ذلك الكنز وشغفت حبَّاً وهياماً بمشاهدة ذلك الجمال الإلهي العظيم.

على أن وقوف هذه المخلوقات عند درجة واحدة من الرؤية للجمال الإلهي الذي شهدته تجعلها فيما بعد تملُّ الحال الذي هي فيه، ولا بدّ لها حتى يكون النعيم والفضل تامّاً من أن تترقى في الرؤية من حال إلى حالٍ أعلى بصورة لا تتناهى وتقريباً لذلك من الأذهان نقول:

لو أن رجلاً يجلس في بستان جميل لم ترَ مثله العين وظلَّ مقيماً فيه أمداً طويلاً، فلا شك أنه يملُّه ولا يعود يرى بعد حين ما فيه من متعة وجمال، ولا بدّ له حتى يدوم له النعيم من أن ينتقل إلى بستان آخر أجمل مما هو فيه.

ولا يمكن للمخلوق أن يترقى في رؤية الجمال الإلهي من حال إلى حال أعلى إلاَّ إذا كانت له أعمال طيبة تجعله واثقاً من رضاء خالقه عنه وتكون له بمثابة مدارج يستطيع أن يتقرب بها إلى الله تعالى زلفى، لذلك عرض تعالى على هذه الأنفس جميعاً الخروج من ذلك العالم الذي لا عمل لها فيه إلى دار تكـــون

لها فيها أعمال عالية تساعدها على الإقبال على خالقها، والسعي إلى ذلك الكنز العالي لِتَعبَّ من بحار الجمال والكمال عبّاً كثيراً متواصلاً لا متناهياً.

ولبيان أثر العمل في تسامي النفس وقربها من خالقها نضرب على ذلك مثلاً فنقول:

لنتصور قائداً خاض بجنوده معركة من المعارك، فيا ترى هل كل هؤلاء الجنود يعودون من المعركة في حالٍ نفسي واحد؟؟؟!.

لاشك أنهم سيكونون على درجات، فالجندي الأكبر تضحية وإقداماً والأحسن عملاً يرجع وهو أقرب من قائده نفساً وأدناهم لديه منزلةً وأوفرهم بالسعادة النفسية حظاً.

وهذا المثل ينطبق على الأبناء تجاه والدهم، والطلاب تجاه معلّمهم والمريدين مع مرشدهم، والعباد مع خالقهم.

إذ من قوانين النفس الثابتة أنها لا تستطيع أن تقبل على آخر إقبالاً معنوياً ما لم يكن لها عملٌ صالح تُقدِّمه بين يديها فتستند عليه في إقبالها. وكلّما كانت تضحياتها أكبر وعملها أعلى وأرفع كان إقبالها أعظم.

وهذا السبب الذي جعل فيه تعالى الدار الدنيا دار عمل وممراً وطريقاً للآخرة، حيث الجنات والنَّهَرُ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

والشهوة هي الدافع والمحرِّك وبها يكون الذوق والنعيم وهي التي تضفي على العمل قيمته وبدونها لا يكون للعمل في نظر صاحبه شأن ولا تكون له قيمة، وكلما كان الشيء محبّباً للنفس ومرغوباً لديها كلما كانت التضحية به أكبر قيمة وأعظم في النفس تأثيراً، فلولا أن الإنسان كان لا يرغب بالمال ولا

يشتهيه فعندئذٍ لا يكون للصدقة في نظره معنى ولا يجد في إنفاقه وصدقته رقيّاً نفسياً ولا إقبالاً، وكذلك الأمر في غضّ البصر والتعفُّف عن المحرَّمات.

ولقد منحنا تعالى حرية الاختيار تلك التي تجعل المخلوق يُباشر العمل مريداً مختاراً لا مرغماً مقهوراً، وبالحقيقة لا يستطيع المخلوق أن يتقرب بعمله إلى خالقه خطوة وليس يمكن أن يجد له قيمة إذا لم يكن لهذا المخلوق في عمله حرية واختياراً.

فإرادة المخلوقات في الأصل ملك لخالقها وموجدها، وهي مرهونة لأمره تعالى فلا تملك إرادة ولا اختياراً.

وقد أراد تعالى كما قدَّمنا أن يعطي الأنفس أكبر عطاء فبيَّن الوسيلة التي تصل بها إلى نيل هذا العطاء، وذلك بأن عرض عليها أن يجعل إرادتها التي هي ملكه تعالى أمانة بين يديها وأن يجعلها حرة في اختيارها السير إلى أعمالها المتولدة عن شهواتها.

إن إعطاء هذه الإرادة والحرية في الاختيار هي ما نقصده بكلمة "**الأمانة**". لقد عرض تعالى الأمانة في عالم الأزل على الأنفس جميعها بلا استثناء، ثم بيَّن لها أن حمل الأمانة وإن شئت فقل حرية الاختيار في السير إلى الأعمال أمر ذو خطر عظيم. فإذا كان المخلوق يستطيع بهذه الوسيلة أن يرقى بعمله ويصل إلى مرتبة دونها سائر المخلوقات فهو إلى جانب ذلك قد يهوي به عمله إلى درجة لا يمكن أن ينحط إليها أحد من العالمين.

ولذلك ورحمة من الله تعالى بمخلوقاته بيَّن لها أنها إذا هي رضيت بحمل الأمانة وخرجت إلى الدنيا فسيرسل لها كتاباً يكون نبراساً ومرجعاً لها في أعمالها، فإذا هي استنارت بنوره تعالى لدى مباشـــرتها

العمل المتولِّد عن الشهوة واستهدت به سبحانه واستلهمته الرشد في سيرها فسيكون صراطها مستقيماً وسيرها مأموناً، وعملها متطابقاً مع طريق الحق الذي بيَّنه كتابه تعالى وبذلك تُعصم من الزلل وتُحفظ من الوقوع في الأذى والضرر ويكون عملها سبباً في رقيِّها وتساميها، فإذا هي جاءته تعالى بعد موتها كان لها من أعمالها العالية الإنسانية سند تعتمد عليه في وجهتها ومتكأ تتكئ عليه في إقبالها على ربها، وهناك تفوز بالقرب من جنابه الكريم وترقى رقياً أبدياً متتالياً في جنات النعيم.

وأما هي إذا حملت الأمانة ثم جاءت إلى الدنيا و لم تستنر بنوره تعالى و لم تستهد بهداه لدى سيرها إلى أعمالها فلا شك أنها ستخطئ طريق الحق الذي يصل بها إلى السعادة. وستكون أعمالها كلها أذىً وإضراراً بالخلق وبعد خروجها من الدنيا ستقف بين يدي خالقها خجلى من أعمالها ذليلةً بما تحمله بين يديها من لؤمها ودناءتها فلا تجد لها مأوى إلاّ جهنم فترتمي بها لتغيب بألم النار وعذاب الحريق عن ألمها وعذابها النفسي الشديد، وفي الحديث الشريف:

«**إنَّ الرجُلَ لَيُلْجمه العرقُ يومَ القيامة، فيقول: رب أرحْني ولو إلى النار**»[1].

وفي حديث آخر: «**إنَّ العار ليلزمُ المرءَ يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالُكَ بي إلى النار أيسرُ عليَّ مما ألقى، وإنه ليعلمُ ما فيها من شدة العذاب**»[2].

هذا ومن كلمة (**الناس**) التي هي اسم جنس لبني آدم، إذ سُمُّوا "**بالناس**" لأنهم بمجيئهم لهذه الدنيا وخروجهم لعالم الصور والأجساد نسوا ما كانت عليه نفوسهم في عالم الأزل من المعرفة بالله تعالـــى،

---

[1] الجامع الصغير: (1990) (طب) عن ابن مسعود.

[2] الجامع الصغير: (2059). (ك) عن جابر (ح).

فكان هذا الجسد المادي حجاباً حجب النفس عن معرفتها بذاتها من حيث ضعفها وحاجتها وافتقارها الكلِّي إلى خالقها ودوام سابق معرفتها.

قال تعالى مبيِّناً مركز النفس في آيات كُثر منها:

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[1].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2].

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[3].

والنفس تسري في الأعصاب، وحين تخدير الأعصاب تنسحب النفس من مكان التخدير ولا يعود المريض يشعر بأي ألم ولو بُتِر عضو من أعضائه بسبب هروب النفس من المكان المخدَّر.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[4].

فنفس المريض غادرت جسده بسبب البنج ونفس النائم غادرت أيضاً جسده بسبب النوم وتبقى الروح موجودة في الجسد وهو يتحرك والقلب ينبض غير أنه لا يسمع ولا يدرك ولا يرى شيئاً.

ونذهب إلى النسوة اللائي قطَّعن أيديهن في سورة سيدنا يوسف ﷺ، قال تعالى:

---

[1] سورة الناس: الآية (4-5).
[2] سورة النمل: الآية (74).
[3] سورة آل عمران: الآية (29).
[4] سورة الزمر: الآية (42).

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

لقد قطَّعت النسوة أيديهن لانصعاق نفوسهن لرؤية جماله ﷺ، والنفس في هذه الحالة غادرت أجسادهنَّ متجهةً إلى سيدنا يوسف ﷺ فقطَّعن أيديهن وهنَّ لا يشعرن.

أما بالنسبة **للروح**: فهي الإمداد بالنور الإلهي الساري في الدم ومركزها هذا القلب المادي، وهي القوة المحركة لكافة أجهزة وخلايا الجسم، وبواسطتها تتم تغذية وحركة وقيام وحياة هذا الجسد، وهي السلطة التنفيذية لأغراض ومتطلبات ولوازم ومشتهيات النفس، وهي تحت إمرة النفس السارية في الأعصاب الآمرة الناهية على كافة الأعضاء الإرادية واللاإرادية. **والروح** في الإنسان والحيوان وكافة المخلوقات الحيّة هي ذاتها، لكنها تكون في الأنبياء والرسل **روحاً مقدّسة** أي: منزَّهة عن الشوائب والأغراض الدنيئة لأن نفوسهم لم تتلوَّث بشوائب الدنيا وأدرانها الخبيثة فحُفظت الروح نقية طاهرة مقدَّسة، فهي لا تنطق إلا بالخير والحق والفضيلة والكمال، وحيثما حلّت حلّت الخيراتُ والأنس والنعيم والسعادة والغبطة الأبدية من الله بواسطتهم على كل من التفت إليهم.

ولقد سألوا رسول الله ﷺ عن الروح، فشرح لهم ﷺ الروح وسريانها في الجسد بواسطة الدم.

وفي الحديث الشريف: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد»[2].

وذلك ما تُشير إليه الآية الكريمة:

---

(1) سورة يوسف: الآية (31).

(2) متفق عليه مسند أحمد ج3 ص156.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[1].

يسألونك يا محمد عن الروح، فقد سألوه عن الروح تعجيزاً له فأجابهم تعالى:

﴿قُلِ . .﴾: "يا محمد": ﴿. . الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وكلمة **(ربي)** تبيِّن ذلك الإمداد الإلهي الساري في الوجود وبه قيامك أيها الإنسان ومعاشك وقيام جميع المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات فلا تتحرك حركة إلا بإمداده وأمره تعالى.

ولو أنه تعالى يسحب إمداده، أي: الروح عن المخلوقات لما بقي لها حركة ولا حياة.

ومثل الروح في المخلوقات كمثل التيار الكهربائي الذي يحرِّك كل الآلات التي تعمل بواسطته فإذا ما انقطعت تلك الطاقة خمدت الآلات وسكنت حركتها وتوقَّف عملها، وهكذا تنصب الروح في الجسد على قلب الإنسان وتسري في الدم الذي يقوم بنقل الغذاء والأكسجين إلى كافة أنحاء الجسد والعودة بالفضلات والسموم ليتم طرحها خارج الجسد عن طريق التبوُّل والزفير.

﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الواردة في الآية إنما تعني ذلك الإمداد على القلب والدم لتتم الحياة، وإذا ما انقطع ذلك الإمداد عن المخلوقات الحية بقيت جثةً هامدة لا حراك فيها، وما يؤكِّد ما قلناه قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[2].

---

[1] سورة الإسراء: الآية (85).
[2] سورة النساء: الآية (171).

وما هذه الروح إلا ذلك الإمداد الإلهي الذي أمدَّه الله تعالى لسيدنا عيسى ﷺ بواسطة سيدنا جبريل وبعد أن بيّن لهم ما بيّن ردَّ عليهم:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ وكلمة (**وما أوتيتم من العلم**) لا تعود على رسول الله، بل على السائلين ولو كانت تعود على رسول الله لجاءت بصيغة **"وما أوتيت"** بل جاءت وهو المتكلم قل لهم يا محمد وما أوتيتم أنتم أيها المعرضون من العلم إلاَّ قليلاً.

ونوجز القول: إذا نظر الإنسان نظرات المفكِّر المستبصر في هذا الكون فإنّ نظراته هذه تقوده إلى أن هناك خالقاً عظيماً ومدبِّراً حكيماً، فيستقيم على أمره وهذه الاستقامة تولِّد العمل الصالح والثقة برضاء الله عليه فتكون له بمثابة وسائل يتقرب بها إلى الله ويكتسب منه تعالى كمالاً فيُحب أهل الكمال ويُحب سيد الكاملين ﷺ، فتصاحب نفسه نفس رسول الله المقبلة دوماً على الله فيرى إمداده تعالى النوراني سارياً في هذا الوجود في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ وذلك ما نعنيه **بالروح**.

يتبيَّن لنا مما سبق أن هناك فرقاً كبيراً وبوناً شاسعاً بين النفس والروح، وبالحقيقة هذا أمر لم يبيِّنه أحدٌ من العالمين من بعد سيد المرسلين قبل هذا الإنسان العظيم.

والآن إلى الحديث والتفصيل عن العقل.

ولكن لا بدّ قبل الحديث عن العقل من التمييز بين العقل والفكر. فالبشرية قاطبةً لم تميّز بينهما فأحياناً يقولون عقل وأحياناً يقولون فكر، فقد تابع عالمنا الجليل حديثه قائلاً:

العقل: هو صفةٌ نفسية تُسمَّى به النفس حينما تحوز حقيقة ما، وتتمثَّلها وتتشرَّبها فتكون لباساً لها تتَّصف بها فتكون عقلاً لها فالمدركات النفسية هي ما عقلته هذه النفس وتخلّلت به واتَّصفت به، فالنفس كالمرآة حينما تتَّجه لأمر بكلِّيتها فينطبع بها، فهي بالأصل صفحةٌ بيضاء نقية فحينما ينطبع فيها أمر ويستحوذ عليها يسمَّى بتلك الحالة عقلاً، **فالعقل نفسي، والفكر دماغي والروح حركي**، والجسد مطية ومركب لهم جميعاً، فكل أمر تهتم به النفس وتصدق بطلبه فتحوِّل إشعاعها إلى الفكر فيعمل ويُطبع بها، فهذا الطبع في النفس يسمّى **"عقلاً"**.

للنفس شعاعٌ حينما يسري لشيء فإنما يسري سريان نور الشمس بل أسرع بكثير إن صدَقَتْ وَصَلَتْ بهذا الشعاع إلى الأبدية كما ترجع به إلى الأزل، فهي تصل بهذا الحال إلى الشيء قبل الوصول إليه فهذا هو العقل أيضاً، فحينما توقن بالموت وتسري من خلاله إلى الآخرة فتشاهد ما فيها كما شاهد رسول الله، فأولئك المشاهدون بقلوبهم ونفوسهم مرافقون للنبيّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وهناك عقل أزلي مكتسب عند الإنسان وعند الحيوان، وهذا ما طبعه الله على صفحات الأنفس جميعاً قبل مجيئها للدنيا كي تقوم بوظيفتها على أتم وجه.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَى ، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[1].

---

[1] سورة طه: الآية (49-50).

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[1].

ونذكر على سبيل المثال... الطفل الرضيع: من الذي يهديه إلى ثدي أمه من أول لحظة يأتي بها إلى الحياة. والنحلة بمجرد خروجها من الخلية تجدها تسرع إلى الأزهار فتمتص ما هو مودع فيها من الرحيق، ونقْفُ البط يسبح في الماء من أول لحظة يخرج بها من البيضة، ونقْفُ الدجاج لا يلبث أن يخرج من البيضة حتى يحفر الأرض ويفتش في التراب بحثاً عن غذائه فيه، والمهر منذ خروجه من بطن أمه تراه يقفز إلى ثدييها فيمتص اللبن منها وقد كان من قبل مغيَّباً عنه و لم يطَّلع عليه.

فمن الذي علّم وهدى الطفل إلى الرضاعة؟. أم من هدى النحلة لامتصاص الرحيق من الأزهار؟. ونقْفُ البط السباحة؟. ونقْف الدجاج إلى البحث في التراب عن غذائه؟. ومن هدى المهر لثديي أمه منذ خروجه؟.

إنه العقل الملهم أي ما طُبع في نفس كل مخلوق منذ الأزل للقيام بوظيفته، والحيوان يأتي ويسير في هذه الحياة على حسب ما طُبِع فيه، ولا يمكن أن يغيّر وظيفته، ولكن الإنسان هو المخلوق الوحيد من بين سائر المخلوقات الذي لديه المقدرة على التغيير والتبديل وطبع وعقل أشياء جديدة في هذه الحياة بواسطة الفكر، ولكن العقل بالنسبة للإنسان يتم بحالتين:

1ـــ عقل لصور الأشياء، يحصل به العلم المادي.

2ـــ عقل لحقيقة الأمور. ويحصل به علم اليقين وإدراك الحق والحقيقة التي لا ريب فيها.

---

[1] سورة الأعلى: الآية (1-3).

وعقل صور الأشياء: يتم كما ذكرنا سابقاً بصدق النفس وتوجُّهها للأمر الذي تبغيه.

مثال: سائق السيارة في البداية يواجه صعوبات في قيادة السيارة ويستعمل كل حواسه وملكاته، أما بالنهاية وبعد أن يتعلَّم جيداً أي بعد أن يعقل السواقة يصبح الأمر بالنسبة له بسيطاً جداً فتراه أثناء انطلاقه بسيارته يشعل لفافة التبغ ويتحدث ويغيب بأحاديث هامة، ولكنه ودون شعور ولا تركيز يقف أمام أضواء المرور الحمراء، ويتجاوز الخضراء ويتفادى الاصطدام بسيارات الغير.

وهب أن شخصاً ما يُتقن السباحة وبينما كان نائماً على ضفة بحرة أو بحيرة سقط أثناء تقلُّبه في النوم بالماء فإنه وقبل أن يعي أين هو وماذا حدث وما الخبر ترى حركات يديه ورجليه البارعتين بالسباحة تنقلانه على سطح الماء دون علم أو إدراك أو وعي لهما فلا يغرق!. يحدث ذلك حتى قبل دوران دواليب فكره أو إرادته، وذلك هو العقل. لقد كانت نفسه قد عقلت السباحة فطبَّقتها باللاشعور منه.

أما بالنسبة لعقل حقيقة الأمور اليقينية:

فهذا الأمر يحتاج لنور أقوى من الأنوار المادية التي نراها مثل ضوء الشمس والقمر والكهرباء وغيرها، إنه يحتاج لنور الإله العظيم جلّ جلاله، ولكن هذا متوقف على سير الإنسان بطريق الحق وصدقه مع ربه وسماعه وتطبيقه لأوامره تعالى التي يسمعها على لسان رسله الكرام، لذلك نشاهد كثيراً من الآيات الكريمة يخاطب الله تعالى بها رسله الكرام بأن يبلِّغوا عباده ﴿لقومٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

فالعقل إذاً: هو ما تعيه النفس وتحتويه وحتى تعيه لا بدَّ للإنسان من أن يتوجَّه إلى ذلك الشيء الذي ستعبُّهُ نفسه وعلى قدر اهتمامه وتوجُّهه الكلِّي يكون عقله.

وعلى سبيل المثال في المدرسة نجد أن الطالب الذي توجَّه بكلِّيته إلى معلِّمه وكان مهتمًّا نراه يعقل ما تعلَّم بعكس من شرد و لم يعبأ بشروح وتفصيلات المعلم.

فالعقل: إذاً لا يتم إلاّ بعد التفكير التأمُّلي العميق وهذا ما نلاحظه في آيات كثيرة من القرآن الكريم، حيث ترد كلمة (**يتفكرون**) وتليها مباشرة (**لقومٍ يعقلون**). قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

نستنتج مما سبق أن العقل لا يكون إلاَّ بعد التفكير العميق في الشيء ولا يذكر تعالى كلمة (**الفكر والعقل**) عبثاً فهناك فرق بينهما وهذا ما بيَّناه آنفاً وإليك أمثلة أخرى.

مكوك نول النسيج إن كان خالٍ من الخيطان فهو لا ينسج قماشاً. وإن كانت فيه خيوط نَسجَ الأثواب القماشية والحريرية والصوفية المزركشة بالألوان الجميلة.

---

[1] سورة الرعد: الآية (3-4). [2] سورة النحل: الآية (11-12).

وكذلك آلة الطباعة بوجود الحبر فيها يدخل الورق فارغاً ويخرج مملوءاً بالأخبار والصور والقصص، وإن لم يكن بالمطبعة حبر يدخل الورق أبيضَ ويخرج أبيضَ كما دخل.

كذا باجتماع الفكر مع النفس بدافع الخوف ينتج العقل والشهود النفسي حينها تتقلَّب بالشهود بدوران الفكر "على المليان".

وإلى وجود العقل بالنفس يُشير القرآن الكريم في سورة الحج:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [1].

فهذه الآية تُبيِّن بأن العقل هو في القلب أي: قلب النفس وليس في الرأس الذي يحوي آلية الفكر في الدماغ.

وتابع عالمنا الجليل حديثه عن الفكر فقال:

الفكر: كلمة الفكر لغةً مأخوذة من فكك ورأى، أي: إن آلية الدماغ حينما تتوارد إليها المشهودات بالعين أو المسموعات بالأذن، أو المحسوسات بالحواس تبدأ بعملية التفكيك والتركيب أي التحليل والاستدلال، وذلك حينما يكون المرء صادقاً في طلب الوصول لأمر ما فإن شعاع النفس يسري للدماغ فترى النفس مطلوبها، وقد ميَّز تعالى الإنسان بهذا الفكر عن سائر مخلوقاته.

الفكر مركزه بالدماغ، فبواسطة هذا الفكر يستطيع الإنسان التفكيك والتحليل والإدراك، وهو القارب الوحيد لنجاة الإنسان وخلاصه من مخالب وبراثن محبة الدنيا الدنيئة ومهلكاتها.

---

[1] سورة الحج: الآية (46).

وبواسطة الفكر يستطيع الإنسان أن يسمو ويتسامى ويرقى لأعلى المراتب، وإذا أهمل المرء تفكيره ظلّ أعمى ومقعداً لا يشاهد ولا يرى إلاَّ صور الأشياء، وهو دون الحيوان في المرتبة وبواسطة هذا الفكر يستطيع الإنسان أن يدل نفسه ويبعدها عن شهواتها المحرّمة ويرقى ويسمو بالأنس بربه ويتسامى.

وكل ما نراه الآن من اختراعات وصناعات وتكنولوجيا إنما تمّ عن طريق التفكير والصدق في طلب ذلك، هذا لمن تحوّل وصدق بتفكيره في مجالات الدنيا، ويمكن التفكير والصدق في مجال آخر في مجال الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية، وهذا لا يكون إلا بالبحث عن الإله العظيم، إذ هو مصدر الحياة ومصدر السعادة الحقّة ومصدر العطاء ومثالنا في ذلك الصحابة الكرام وصحابة الرُّسل عندما صدقوا بالبحث عن الإله العظيم وتعرّفوا عليه كيف أنهم نشروا العلم والسعادة والرحمة والعطف والإنسانية في جميع أنحاء المعمورة. فأصبح الإنسان أخَ الإنسان وحبيبهُ وخليلَهُ.

أمَّا مثالنا على من استخدم تفكيره للحياة الدنيا وأغراضها وشهواتها ما نشاهده ونسمعه عن الغربيين والشرقيين دعاة الإنسانية.

ومن عدالة الله ورحمته أن منح هذا الفكر لكل إنسان دون تمييز إنسانٍ عن آخر.

والعقل يتم بالصدق فإذا صدق المرء بأمر من الأمور فسرعان ما يسري شعاع النفس إلى الفكر فتعمل دواليب الفكر وينتج. وأضاف عالمنا الجليل قائلاً:

أما هذا **الجسد** المركَّب من اللحم والأعصاب والعظام والدم فهو عبارة عن ثوب النفس ولباسها ومركبها وواسطتها لتحقيق حاجاتها وطلباتها وأهدافها وميولها وانحرافاتها أو فضائلها وأعمالها العالية.

هذا غيضٌ من فيض وجزء يسيرٌ مما تفضّل به عالمنا الجليل ردّاً على أسئلة السير بينت ذلك أن الجلسة استغرقت ساعات ولكنها مضت وانقضت كلمحات لبهجتها ومتعةِ جدَّتها.

أخي القارئ:

ألست معي أنَّ ما نسمعه جديدٌ كلَّ الجدة غريبٌ كل الغرابة لم يعهد الناس كلاماً مثله و لم يسمعوا بمثل هذه المعاني السامية، يأخذ بها كل من يحمل ذرة من تفكير وألقى الأهواء جانباً واتخذ الله صاحباً!...

وانقضت الجلسة الأولى

السير بينت: بعد هذه الجلسة أريد منك أن تستقبلني ضيفاً في بيتك، فمن الأصول وبعد ما سمعت منك علوماً لم تألفها بشرية الأرض أن يذهب الصغير إلى الكبير والمريد إلى المعلم.

عالمنا الجليل: أهلاً بك وسهلاً ولكن أوليس هذا سؤالك؟!...

السير بينت: لا: ما سألته مجرد أسئلةٍ امتحانية أسألها للعلماء فإن أُجبت عليها وبالمنطق والحجة عندها أسأل سؤالي الرئيسي والهام، وإن لم أُجب أكتفي عند هذا الحد وأنسحب...

وأخذ **السير بينت** موعداً بأن يكون عند عالمنا الجليل في تمام العاشرة من صبيحة اليوم التالي وكان اللقاء.

استقبله عالمنا الجليل ورحَّب به ضيفاً عزيزاً مكرماً فاستأذنه **السير بينت** بسؤاله الذي استعصى عليه وعلى علماء الأرض بقوله:

لقد نظرت في السماء نظرات تأمُّلية عميقة فرأيت أجراماً عظيمة ونجوماً وكواكب عجيبة، نظاماً دقيقاً بديعاً في الخلق والتسيير فحكمت حكماً جازماً بأنه لا بدّ من خالق عظيم وإله مسيّر قدير يسيِّر وينظِّم ذلك كله بهذا النظام الصارم في الدقة.

ثم نظرت نظرات أخرى إلى الأرض ويا لهول ما رأيت، ظلماً كبيراً، غنياً وفقيراً، أبيض وأسود، ظالماً ومظلوماً، قصيراً وطويلاً، جميلاً وقبيحاً، صحيحاً وسقيماً، سعيداً وتعيساً، هذا يتعدَّى على ذاك، وذاك

يسرق هذا، وآخر يقتل الأضعف منه، ودول تأكل دولاً، فحكمت عندها أن لا إله ولا خالق ولا مدبّر. فإذا كان الإله موجوداً ومنظِّماً ومسيّراً في السماء فلِمَ لا يكون منظِّماً ومسيّراً على الأرض، عندما أرى الظلم الرهيب على الأرض أستنكر وجود الإله.

فإما: إله مشرف مسيطر قريب مبصر بصير وظلم!... هذا لا يكون، إما ظلم ولا إله أو إله ولا ظلم.

هذا هو سؤالي فما هو الحل؟...

عالمنا الجليل: أتريد الجواب مباشرة ومن ثم التفصيلات والأدلة والوقائع أم العكس ونستخلص الجواب كنتيجة؟...

وحيث إنه كان مهتماً بسؤاله ومتلهفاً عليه طلب أن يسمع الجواب مباشرة ومن ثم الشرح والتفصيل هنالك قال:

الإله موجود وليس هناك ظلم إطلاقاً.

السير بينت: بدهشة واستغراب!.. ماذا تقول؟. أليس هناك ظلم إطلاقاً؟. أرجوك الإيضاح.

عالمنا الجليل: الخالق القدير والمسيِّر العظيم موجود في السماء وموجود في الأرض "فهو في السماء ببهائه وعلى الأرض بحنانه" وما من حركة إلا بعلمه وتسييره وما شاهدته من نظام دقيق وتسيير بديع ودقة متناهية في السماء فهو أيضاً موجود على الأرض ولا يدّ سوى يد الإله التي خلقت وسيّرت وتخلق وتسيِّر كل المخلوقات في السماء والأرض ولا ظلم أبداً.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[1].

لقد جاء الإنسان إلى هذه الدنيا معاهداً ربه بأن يتعرَّف عليه ويستنير بنوره ولا ينقطع عن الوجهة إليه تعالى ويعمل المعروف والإحسان ما استطاع لكافة خلقه وعباده، وما أن جاء إلى هذه الحياة وألبسه الله ثوب الوظيفة وسلّمه اختياره حتى نسي عهده مع ربه وحاد عن إنسانيته وطريق الحق الذي عاهد أن يسير عليه، ولكن رحمته تعالى اقتضت بأن لا يترك هذا الإنسان في هذا الضياع وتلك المتاهات إذ زيَّنه بفكر وميَّزه به على كافة مخلوقاته، كما جهَّزه بسمع وبصر وحواس ووضع بين يديه آيات كونية كالنجوم والكواكب والشمس والقمر والمطر والثمر ترشده إن فكَّر وتُوصله إليه تعالى كما أوصلت أباه إبراهيم وإخوانه المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وأيقظه بالموت يتخطَّف أحبابه وذويه علّه يستيقظ من اطمئنانه للزائل وغروره بالباطل ليسمو لإنسانيته ويحقِّق كماله ويحوز جنّاته، كما وأرسل تعالى الرسل الكرام يذكِّرونه، وجعل معه ملائكة ينبِّهونه وأرسل له قوانين وأنظمة تنظِّم كل أمور حياته، ولكن للأسف الشديد رغم كل ما قدَّم تعالى وتفضَّل به على الإنسان رحمةً وحباً وحناناً منه، فقد حاد هذا الإنسان عن طريق سعادته وحياته الأبدية الحقيقية وراح يرتع في شهواته البهيمية ويؤذي ويقتل ويسرق وينهب عباد الله، ولن يقتل ويؤذي ويسرق إلاّ من سبق له أن قتل أو سرق أو آذى مَنْ دونه فيسلِّط الله الظالم لنفسه على الظالم لنفسه. قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2].

---

[1] سورة الزخرف: الآية (84).
[2] سورة الأنعام: الآية (129).

والمستقيم السائر بطريق الحق والإنسانية وضمن أوامر الإله العظيم، فلا سلطان لأحد عليه أبداً. قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [1].

ومن رحمة الرحيم وحكمة الحكيم بأن لا يترك هذا الإنسان يخوض ويرتع بنار اللظى، بل يسوق لهذا الإنسان المصائب والشدائد والأمراض والفقر والجوع والحرمان. قال تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [2].

أي يُذيقهم تعالى في الدنيا عذاباً لعلَّهم يرجعون إلى ربهم تائبين وينتهون عمَّا هم فيه سادرون، ولكن لا يسلِّط الظالم لنفسه إلا على ظالم لنفسه لعله يصحو من كبوته، ويفيق من سباته ويتراجع عن غيّه وطغيانه، وكل ذلك بعلمه تعالى وحكمته وبما يتناسب مع شدة الغفلة، والمصائب عندئذ تكون بمقدار ما توقظ الإنسان من غفلته، ولكن هذه المصائب ليست شرّاً لأولئك، بل هي رحمة وخير وفضل، قال تعالى:

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [3].

تماماً كما يشدِّد المعلِّم أو الأب على الولد الكسول أو المهمل، وما هذا التشديد وتلك المضايقة إلا من قبيل العطف والرحمة والحب لا من قبيل الظلم والقسوة والانتقام، قال تعالى في سورة آلِ عمران (26):

[1] سورة النساء: الآية (147).
[2] سورة السجدة: الآية (21).
[3] سورة البقرة: الآية (251).

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: بيدك الخير لمن أعطيته ولمن منعته ولمن أعززته ولمن أذللته وبما يناسبه لخيره.

ومثل ذلك الطبيب فإنه قد يضطر إلى شق بطن مريضه ليخرج له علَّته ونراه أحياناً لا يكتفي بذلك بل يمنع عنه الكثير من اللذائذ أيضاً. إن سلوك الأب والمعلم والطبيب حيال هؤلاء قد نراه من زاويتين:

أولاهما: الإحساس بالظلم والقسوة وعدم الرحمة إذا لم نعرف الأسباب.

وثانيهما: الارتياح والمباركة لأعمالهم إذا علمنا أن عملهم هذا ما كان إلا لمصلحتهم.

أما الطالب المجد والابن المطيع والشخص العاقل فلا يحتاج إلى مثل هذه المضايقات وهذه التشديدات أو هذا العذاب. هذه غاية الله من المصائب، وهذا غيض من فيض رحمته، بل هذا أثر من حبِّه لخلقه، لذا فالألم والعذاب والشر الذي يشاهده الناس إنما هو علاجات لهؤلاء المرضى، والعلاج يختلف باختلاف الداء فمنهم من يشتهي المال فيحتاج للحمية فيفقرهم الله لأنهم لا يصلحون بالمال، وغيرهم يستكبرون في الأرض بغير الحق إلا أنهم يستخدمون الدنيا لظلم الآخرين والتعدي على غيرهم وعلى حريَّات الآخرين أيضاً "وإن كانوا لمستحقين"، فيأخذ دنياهم تعالى منهم ويسلِّط عليهم سلاسل العلاجات بالشدائد والمصائب والأمراض ما يشغلهم ويلهيهم عما في نفوسهم من علل الشهوات الخبيثة المضنية ويحوِّلهم عنها، فينسونها بمصابهم ولا يزال العلاج مستمراً والمصائب تترى حتى يوافيهم الأجل ويتم انتقالهم فلا يحرمهم تعالى من علاجات الآخرة.

ومن الناس من لا يفيدهم العلاج؛ إذ لا يريدون إلا الحياة الدنيا فالله يعطيهم من الدنيا ما يشاؤون فهؤلاء حينما يمنحهم تعالى مشتهياتهم يعبُّون منها عبًّا، ولكن لا يتعدون على حرية من يخالفهم ولا يظلمون، فهؤلاء أهل الدنيا وساداتها يوفِّيهم طلباتهم ورغباتهم فيها فينالون نصيبهم منها غير منقوص وينالون فيها كل مشتهياتهم، ولكن ليس لهم في الآخرة من خلاق ولا نصيب، لأنهم رفضوها وكانت أقصى أمانيهم دنياهم ولا شيء سواها. قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[1].

﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[2].

وكذلك قد تصيب المؤمن بعض المصائب والغاية منها تكفير وترقية ولكيلا يغفلوا أو يطمئنوا إلى الدنيا، إذ لا بدّ له من عمل سيّء سبق ووقع منه خطأ فعاد عليه شره، لو لم يعمل لما أصابه. فالله تعالى يريد الهداية لهذا الإنسان، لكن عن طوعٍ ومن دون إجبار، لأنه لا يوجد أية فائدة يجنيها الإنسان إذا سيق إلى ما يكره بالقوة، إذ الهداية الحقّة هي أن يقبل الإنسان عن طوع وبدافع ذاتي عندئذٍ يشاهد الخير والعدل، ويلمس الرحمة والحب يسري في الوجود كله. قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3].

---

[1] سورة الأنعام: الآية (44).
[2] سورة الإسراء: الآية (20).
[3] سورة البقرة: الآية (155-156).

فالمصيبة تُصيب الهدف، فهذه المصائب كي يلتجئ هذا الإنسان لربه ويفكِّر لِمَ بعثها تعالى له؟. ويفتّش عن تفريطه في جنب الله فيرى ذنبه ويتراجع عن غيّه تائباً مستغفراً لذنبه.

وعلى كلٍّ فلا ظلم في الكون. فالمسروق ماله لا بد أنه اجتناه بالحرام والتعدي والنصب والغش، وكذا المقتول فلا بد أنه قد سبق واقترف جرم القتل والزاني يُساق للخبيثة الزانية، والظالم لنفسه على الظالم لنفسه.

قال تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1].

والطاهر الطيّب السالك بالطيب لا سلطان لأحد عليه. قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [2].

﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [3].

والجنس البشري ينقسم إلى ثلاثة أقسام بأعماله:

1ـ إنساني.

2ـ ظالم لنفسه (ويسلك مسالك حيوانية لتحقيق أهوائه).

3ـ ظالم لنفسه (ويسلك مسالك شيطانية لتنفيذ أغراضه المنحطة).

---

(1) سورة النور: الآية (3).
(2) سورة النساء: الآية (147).
(3) سورة النور: الآية (26).

والإنسان الإنساني في أيامنا أضحى مفقوداً أو شبه مفقود ويبقى لدينا الظالم لنفسه والأظلم منه.

إن الله وحده بيده الخير للمحسن والمسيء على حدٍّ سواء، ومن لم يشهد ذلك في الدنيا فسوف يشهده في الآخرة، وما دام الأمر كذلك وهو كذلك فإنه لا يوجد ظلم بين الناس، وما دام لا يوجد ظلم فلا يوجد شر.

إن ما نراه شراً فهو محض الخير لمن يصيبه، لأنَّ هذا الشر الذي أصابه سينقذه من شر أعظم لو لم يصبْهُ، وهذا الشر ما كان ليصيبه لولا ما قدَّمت يداه، إنَّ شق البطن شر بالنسبة للمعافى، إلاَّ أنه خير لمن تخرج به علَّته، والظلم لا يقع إلاّ على من يستحقه والظالم لا يقع ظلمه إلاَّ على ظالم مثله.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

إذ لعله بتلك المصيبة يرجع عن غيِّه ويتذكَّر ما قدَّمت يداه ويتوب إلى الله توبةً نصوحاً، عندئذٍ يرتفع عنه الظلم، بل قد يُمكِّنه تعالى من الذي ظلمه.

هذا التصرُّف لا يقتصر على الأفراد فحسب بل يتعداه إلى الأمم والشعوب، فالأمة التي يكون فيها من القابلية للإيمان أكثر من غيرها فإن الله يسلِّط عليها أمة أظلم تسومها سوء العذاب لعلها تتضرع إلى الله وتبتعد عمَّا هي فيه من اجتراح السيئات فتنيب إلى الله تعالى. قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[2].

---

[1] سورة الأنعام: الآية (129).
[2] سورة الأنعام: الآية (65).

عندئذٍ يبدِّل الله لها سيئاتها حسنات، ويردُّ لها الكرَّة على من ظلمها، لا تبطش وتنتقم لنفسها، بل لتردها أيضاً إلى طريق الهداية والصلاح، وقال تعالى:

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1].

فالله تعالى يمهل ولا يهمل، فالإنسان عندما يرتكب معصيةً ما تُسجَّل عليه عقوبتها، فإن تاب وغيّر ما في نفسه رفع الله تعالى عنه تلك المصيبة، أما إذا لم يتب وثابر في طريق الطغيان فرحمة الله به أنه يرسل له مصيبة أكبر لعله يرجع عن غيّه ويثوب إلى رشده.

وإليك مثلاً من الواقع:

هب أنَّ معلِّماً يُعلم تلاميذه ونظر إلى أحدهم فوجده متفوِّقاً بدراسته نشيطاً ومؤدِّياً جميع واجباته على أتم الوجوه، ترى أيحتاج مثل هذا التلميذ للضرب والتأديب؟. لا بل يحتاج للإكرام والإنعام والمحبة.

ونظر إلى آخر فوجده مقصِّراً كل التقصير ولا أمل منه ولا رجاء فمثل هذا التلميذ يتركه المعلِّم ولا يؤدِّبه، إذ لا جدوى والأوْلى طرده من المدرسة ليتعلم حرفة أو مهنة، ونظر إلى الثالث فوجده مقصِّراً أحياناً ومجتهداً أحياناً أخرى، فمن رحمة المعلم به أنه يضربه كي يجتهد أكثر ويكون في عداد الناجحين الفائزين.

---
[1] سورة آل عمران: الآية (165).

وهب أن شخصاً مريضاً فتك المرض فيه وأمل شفائه بات مستحيلاً، ترى أيهتم به الطبيب، أم أنه يقول لذويه خذوه ودعوه يأكل ويشرب ما يشاء ويحلو له حتى يأتيه الموت. وشخصاً معافى قوي البنية، ترى أيعطيه الطبيب أدوية وعلاجات مرَّة أو يجري له عملية جراحية أو يحرمه بعض المأكولات والمشروبات بالطبع لا.

وشخصاً به علّة وأمل شفائه ممكن، مثل هذا يُعالج ويُهتم به أشد الاهتمام ويُعطى الأدوية المُرَّة الكريهة، ويُحرم لذيذ الطعام. وتلك أمثلة من الواقع نقرِّب بها وجه الحقيقة. فهو تعالى يقول في الحديث القدسي:

«**عبدي اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتُّك فاتك كل شيء، وأنا أحبُّ إليك من كل شيء**»[1].

«**عبدي كن لي كما أريد أكن لك كما تريد**». وهو تعالى يريد منا الاستقامة على أمره، فالمستقيم يُحفظ من كل سوء وهو تعالى معه وناصره ومؤيده وحسبه.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[2].

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾[3].

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4]. وما الشكر المعني بهذه الآية إلا العمل الطيب.

---

(1) الزبور ــ إحياء علوم الدين الجزء الرابع ص469 بلفظ (من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني) فقال أبو الدرداء : أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا .

(2) سورة النساء: الآية (141).

(3) سورة النساء: الآية (147).

(4) سورة إبراهيم: الآية (7).

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[1].

أما إذا كان الإنسان معرضاً عن ربه كافراً بأنعُمِهِ فلا شك أنه يكون محروماً من عطاءات ربّه في آخرته. والله تعالى أراد له الخير وأعدَّ له ما أعدَّ من جنَّات، ولكن بإعراضه عن ربه حرم نفسه وظلمها من تلك العطاءات وطلب الدنيّة المنقضية الزائلة فأعطاه الله إياها، ثمَّ يُطرد منها مذموماً مدحوراً. فمن طلب الدنيا يعطيها تعالى له. وماله في الآخرة من خلاق.

ومن خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً ومن ضَعُفَ إيمانه وشحَّت أعماله الصالحة فلا مفرّ من دخوله جهنم وساءت مقرّاً. فمن رحمته تعالى ولإمكانية الصلاح لديهم يشدِّد عليهم بالمصائب والبلاءات والتسليط لعلهم يرجعون ويرفع تعالى عنهم العذاب وما أحاط بهم من بلاءات إن رجعوا لربهم تائبين وإليه آيبين وليسعدوا دنيا وآخرة. قال تعالى:

﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[2].

وأن الله لا يُغيِّر ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم ولو أنهم غيَّروا ما في أنفسهم لوجدوا ربهم غفوراً رحيماً وأنه تعالى حتماً يعطيهم الدنيا والآخرة، والله ذو الفضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

نعود الآن إلى سيدنا محمد ﷺ حين سألته قريش مثل هذا السؤال، إذ تساءلوا متعجبين، من أين أتى هذا الرجل العظيم بهذه الدلالة العالية على لا إله إلا الله، وهو الذي لم يدرس بمدرسة و لم ينتسب إلى

(1) سورة سبأ: الآية (13).
(2) سورة يونس: الآية (98).

الجامعات؟. من أين أتى بهذه العلوم التي ملأت أطباق السموات والأرض فكان الأب الروحي الرحيم والمعلم العظيم والقائد العبقري الذي أنشأ عقول قادة الدنيا وسادالها، والطبيب العليم والمصلح الاجتماعي الكامل، والسياسي البارع، مهذِّب النفوس والطّباع والأخلاق، والحكيم الحقيقي ومالئ الدنيا والآخرة بالكمالات الإنسانية والأعمال النبيلة اللطيف الكامل؟. ولم يتتلمذ على يد أحد، بل كان يتيم الأب والأم يرعى الغنم في شعاب مكة.

فأجابه ربّه قل لهم يا محمد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أنا أعوذ بالخالق وعذتم أنتم بالمخلوق، فكم البون شاسع والفرق عظيم، عذت به فعلَّمني وأيَّدني وهداني ومنحني لكم قولاً ثقيلاً لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بشيء مثله لعجزوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

أعوذ بربكم أيها الناس الذي أوجدكم ومنحكم السمع والبصر والذوق والحس وأتحفكم بالخيرات والثمرات وكلأكم بعيون عناياته حتى نمّاكم وربَّاكم مذ أنتم أجنّة في بطون أمهاتكم، ما جعلكم ترْبون بدلال ونِعَم، وخلقكم خلقاً كاملاً سوياً لا نقصان ولا خطأ فيه، عندها سألوه فلِمَ ربنا جعل هذا طويلاً وذاك قصيراً، هذا غنياً وذاك فقيراً، هذا أبيض وهذا أسود، وهذا جميلاً وذاك قبيحاً بتربيته؟.

فأجابه ربه قل لهم: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ولكن الكل بيده يعطيهم كلاًّ حسب ما يناسبه، فقالوا: ما دام "كما تقول" رحيماً ومالكاً لنا لِمَ لا يدخلنا جنانه ولماذا النار؟. فأجابه ربه قل لهم: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ يسيِّرهم حسب اختيارهم بما يناسبهم وبما يكون به صلاح حالهم، فبه تعالى سيرك في أعمالك بناءً على اختيارك، أنت إن سمعت نصحه تعالى واتَّبعت أوامره سعدت دنيا وآخرة ونلت الخيرات التي أُعدَّت لك فوق الكائنات ألا وهي الجنّات العُلى، وإن ركبت رأسك وسدرت في غيِّك وأُعجبت برأيك وهـــواك

وأصررت عليه، سيّرك كما تشاء وعليك التبعة والنتائج والخسران دنيا وآخرة.

نعم لقد أقرّ "**السير بينت**" معترفاً بفضل هذا الإنسان العظيم بعد ما سمع وشاهد منه من إثباتات وأدلة ووقائع وقصص جارية ضاق المجال هنا عن سردها لأنها استمرت أياماً وكلها تثبت الحقيقة وتنفي وجود أي ظلم حتى بدت الحقائق ماثلةً لديه. عندها أقرّ معترفاً ووقف مذهولاً ومصعوقاً بعد أن زالت كل الشكوك والشبهات والمتناقضات من فكره.

لقد آن الآوان وحان الوقت كي ينمحي هذا الظلام الحالك والجهل المطبق، إذ سطعت شمس أنارت عوالم الأرض والسماء وفتنت بأنواره وبهائه قلوب العلماء، وذهلت لأعماله وعلومه جبابرة الأرض وفلاسفتها وعلماؤها.

وبعد انتهاء سؤال **السير بينت** أقام فترة طويلة ضيفاً عند معلّمه يسأل ويتعلم ويستفسر عن كل ما يجول في فكره حتى أصبح يسأل عن الإسلام وقوانينه، وعن الصيام والحج والزكاة، والحكمة من كل واحدة منها.

وفي اليوم الثالث دخل على بيت معلّمه فوجده يصلّي مع عدد من مريديه فاشترك بالصلاة مباشرة وهو لابس حذاءه، وفي نهاية الصلاة عجب وتساءل أستاذُه المؤمن عن صلاته مع أصحابه من دون غسل ودون وضوء فالتفت **السير بينت** إلى أستاذه قائلاً:

أنت تكلّمت لي عن الصلاة بأنها صلة العبد بربه واستنارته الوثيقة بنوره تعالى وهي أحوال ومشاعر وأذواق ومشاهد وسعادة لا تعادلها سعادة، وأنا الآن أصلّي هذه الصلاة التي تكلّمت عنها، فأجابه بلطف:

نعم لقد صلَّيت حقاً، وأنت **"قلبياً في صلاة"** ولكن لكل شيء صورة وحقيقة، وأنت قد نلت اللب والحقيقة ـــ تركت الإناء وأخذت الغذاء وقد تقبَّل الله منك، ولكن الصورة مساعدة، فالوضوء والغسل ينشِّط الجسم وتكون الصلاة كاملة: صورة وحقيقة ـــ ولا بدّ للحقيقة من صورة ولا بدّ للصورة من حقيقة.

هنالك أعلن إسلامه وبقي /**19**/ يوماً محافظاً على شعائر دينه. ثم ذهب إلى بريطانيا وبدأ بإجراء محاضرات يشرح فيها عظمة هذا الإنسان ودلالته العلمية في محاضرات جامعية، طلابُه فيها هم أساتذة جامعات من بريطانيا وأمريكا.

وقبل أن يغادر إلى بريطانيا طلب من عالمنا الجليل أن يغادر معه إلى بريطانيا قائلاً:

اذهب معي إلى بلادي واستلم ما تشاء وخذ ما تريد، فأنت في هذا البلد لن يقدِّروك أما هناك فسيعظِّمون علمك، ويمنحونك ما تشاء.

فأجابه معتذراً: صحيح أنكم تعطوني وتسلّموني الدنيا ولكن ما هو ضمان الآخرة، هل تضمنوها لي؟.

ففهم **السير بينت** بأن مغادرته مستحيلة. وحاول مع ابن عالمنا الجليل، فلعلّه إن غادر ابنه يتبعه ويلحق به، ولكنه فشل أيضاً.

فغادر دمشق وحده عائداً إلى بلده عن طريق البر مارّاً بتركيا، وفي تركيا اجتمع مع علماء الدين الإسلامي ومشايخه وتناقش معهم مطوَّلاً، ثم طلب منهم تفسير الآية رقم /**15**/ من سورة الحج:

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

فأجابوه: بأن يربط الإنسان حبلةً في سقف بيته، ويربط رقبته بها، ثم ليقطع حياته من الأرض، أي يموت شنقاً. وينظر بعدها هل يذهب كيده وغيظه أم لا؟. وقالوا: إنَّ ذلك في التفاسير المشهورة.

وهنا تضاربت معه الأفكار وأصبح في ضياع فأرسل مباشرة إلى عالمنا الجليل يُخبره بما حدث معه ومع المشايخ في تركيا وسأله عن تأويل الآية المذكورة.

فأرسل له عالمنا الجليل الجواب على الشكل التالي:

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾: إن كان هذا ظنه. ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾: أي فليفعل الخير والمعروف، ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾: المنكرات والأعمال المنحطة. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾: تدبيره وسيره الطيب ألاَّ يُذهب ما يغيظه!... أنت اعمل بهذا وانظر النتائج، ألا يفرِّج الله عنك!... سر بهذا الطريق وانظر ألا تسعد؟...

أنت تقول لَمَ يسوق لي الشدائد؟... تصوَّر أباً له ابن مريض ألا يداويه!... ربك صاحب حنان عليك وأنت إن مرضَتْ نفسك ألا يداويك أم يتركك؟...

وعندما وصل لبلاده وفي أول محاضرة ألقاها تكلّم عن زيارته لدمشق واجتماعه بعالمنا الجليل، وبدأ بالمدح والثناء العظيم على هذا الإنسان الفاضل وبأنه سمع منه كلاماً وعلوماً عجزت علوم وعلماء أهل الأرض أن تأتي بمثل ما سمعه ورآه.

وهذه المعلومات التي تحدث بها **السير بينت** طُبعت في إحدى المجلات البريطانية والفرنسية ووزِّعت في جميع أنحاء العالم ووصلت نسخة منها إلى بيروت وحصل على أحد النسخ تلميذ من تلامذة عالمنا الجليل وهو أحد أطباء الجامعة الأمريكية فيها.

من أين أتى هذا الإنسان العظيم بهذا الكلام وتلك المعاني التي عجزت البشرية قاطبة من بعد سيِّد المرسلين أن تأتي بمثلها**!**...

إن كان من يتقِ الله يُعلِّمه الله، فكيف لمن دثر نفسه في محبة الإله ووهب روحه وجسده وراحته لخلقه تعالى وعباده.

جزاك الله عنّا خير الجزاء

فنحن نعجز عن إيفائك شيئاً من حقك يا هبة الإلــــه.

معجزة القرن العشرين

والآن هلمَّ معنا لكي نشهد قبساً مما أفاض به

هذا السيد الكريم لهذه المعجزة العلمية الجبَّارة:

معجزة القرن العشرين

بغية إيفائها حقَّها من التمحيص العلمي المجرَّد،

بتجرُّد ونزاهة، وذلك في البحث التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القارئ:

ألا تحب مشاركتنا برحلة فكرية تصوّرية رفيعة سامية؟...

ألا تحب أن تضيف إلى معلوماتك شيئاً جديداً لا بل علماً وحقيقة عجزت بشرية عصر الذرَّة وارتياد القمر وبما ابتكرته من أجهزة وإلكترونيات أن تعلمه؟...

ألا تحب أن نقف معاً على أبواب لغزٍ حيَّر العلماء والجغرافيين والباحثين يطرُق لنا بابه؟...

لغز حيَّرهم حتى راح أحدهم يُصلِّي: ربِّي رحماك أين الجواب؟...

لغز وقف أمامه الجغرافيون والباحثون والعلماء حيارى مصعوقين نادبين حضارتهم وعلومهم؟...

إنه كأس الماء الذي بين يديك تشربه وأشربه ولا حياة لنا من دونه.

ما مصدره؟... من أين يأتينا؟... وكيف؟...

لنبحر معاً على سفينة هذا السؤال نستقصي من أين يأتينا هذا الماء العذب الرقراق لنشربه جميعاً؟... ثم من ساقه لنا؟... وكيف؟...

لا بأس عزيزي وبعد أن داهمنا العلم وغزتنا الحضارة، أن نهجر الضجيج والأصوات ودخان المعامل والسيارات ونرحل معاً وعلى سفينة العقل لنستقصي الحقيقة إلى القطب الجنوبي وإلى القطب الشمالي، إلى أقاصي الدنيا إلى حدود أرضنا الشمالية والجنوبية، إنها سفرةٌ ممتعةٌ شيّقة جميلة. مناظر تسحر القلوب

تجذب إليها الفؤاد، بياض يخطف الأبصار، لوحات فنية رائعة أبدعتها يد المبدع القدير، لا يعكِّر صفوها إلا الإرتعاش من البرد القارس الشديد.

مساحات شاسعة واسعة تنوف على **/14/ مليون كم2 في القطب الشمالي فقط**، وإن لم تستطع تصوُّر هذا الرقم فهو ينوف على مساحة سوريا بأكثر من **/65/ مرة**، ما هذه اللوحة الرائعة؟... ما هذه الجبال والثلوج والصحارى الجليدية. ثم من أبدع هذه اللوحة الرائعة؟... من صنعها؟... أما أنت مشتاق معي لأن تعرف كيف تكوَّنت هذه الثلوج؟... من أين جاءت؟... ما هي الظروف التي كوَّنتها؟... من هذا الذي وراء هذه الظروف؟... هل كوِّنت وحدها؟... أكوّنها شرقٌ أم غربٌ بعلومه وحضارته؟... أم أن هناك يداً مدبِّرةً رحيمةً حكيمةً ترعاني وترعاك، ثم هل من حركةٍ بدون محرِّك؟!...

ألست معي أيها القارئ الكريم بأن نقول لعلماء الزمان وللحضارة أين علومكم؟... أين حضارتكم؟... أجيبونا أيها العلماء الباحثون قبل أن تغزوا الفضاء، وتصنعوا أسلحة لدمار الأبرياء واستعباد الضعفاء، أجيبونا من أين يأتينا هذا الماء؟...

الذي به حياتكم وحياتنا، قبل أن تفكِّروا بعلوم مدمِّرةٍ للإنسان والإنسانية وتتفاخرون بها.

ألهذا خلقكم الله؟... أللدمار والتدمير؟... أم لأجل إعمار الأرض عدلاً ورحمةً وتسامحاً وتباذلاً وإنسانيةً وعطفاً.

لنتابع أخي الكريم رحلتنا إلى القطب الشمالي حيث الثلوج والجبال الجليدية والصحارى الجليدية إلى حيث البرد الشديد والعواصف الهوجاء.



أشعة الشمس مائلة السقوط في القطبين الشمالي والجنوبي لتبعث حرارة خافتة جداً ـــ الجو قارس ـــ درجة الحرارة منخفضة تصل أحياناً إلى /**85**/ **درجة مئوية** تحت الصفر، وغالباً ما يتساقط الثلج، الرياح عاتية عاصفة، عواصف ثلجية عنيفة تتعذر معها الرؤية، الحياة صعبة جداً وتكاد تكون شاقة وشبه مستحيلة، الليل والنهار يدومان بضعة أشهر كل عام وذلك لميلان محور الأرض، الشمس لا تغيب طوال فترة الصيف القطبي، ويمكن مشاهدتها في منتصف الليل، وحينما يكون الوقت صيفاً في أحد القطبين يكون شتاءً في الآخر، فيعود الظلام صباح مساء بضعة أشهر لاحتجاب ضوء الشمس عنه.

منطقة القطب الجنوبي أكثر برودة وأوسع امتداداً للجليد والثلج ـــ وتصل سرعة الرياح هناك إلى نحو /**350**/ **كم** في الساعة ومتوسط الحرارة في القطب الجنوبي أقل منها في القطب الشمالي بعدة درجات، والشتاء قاسٍ لا يرحم.حاول الكثيرون استكشاف القارة الجنوبية وفشلوا.

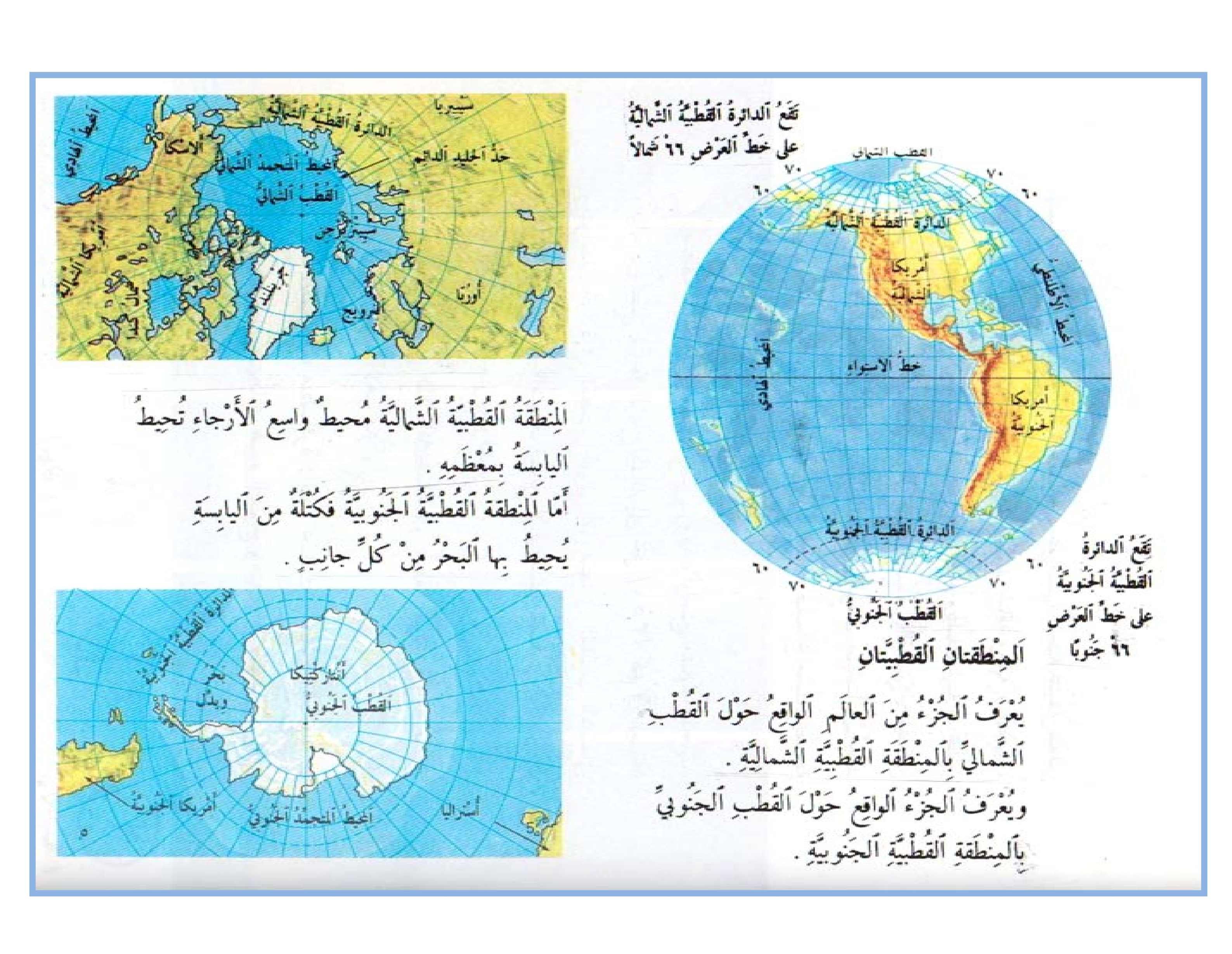
القطب الجنوبي القارة المتجمدة هو منطقة جرداء قاحلة يرتفع الجليد فيها لخمسة آلاف متر.

هذه الظروف متضافرة: نور خافت ـــ برودة شديدة ـــ عواصف هوجاء شكّلت هذه الثلوج وهذه الجبال الجليدية ـــ الثلوج متواصلة الهطول بشكل شبه مستمر ليل نهار وعلى مدار السنة. ما يعني هذا؟.

إنه يعني أنه على مر عشرات السنين ومئاتها ستتراكم كميّات كبيرة جداً من الثلوج إلى أن تصل لارتفاعات هائلة تتجاوز آلاف الأمتار علوّاً واتساعاً في رقعة المنطقة القطبية، وكلنا يعلم أن المنطقتين القطبيتين تشكّلان قارتين لاتساع مساحتيهما من أصل /**7**/ قارات في العالم.

ومع مرور الأيام والسنين ستطغي القارتان القطبيتان على باقي القارّات وتحوّلها لكتلة جليدية واحدة، وبالتالي تنعدم الحياة.





المِنْطَقتانِ القُطْبيَّتانِ

يُعْرَفُ الجُزْءُ مِنَ العالَمِ الواقِعُ حَوْلَ القُطْبِ الشَّماليِّ بالمِنْطَقَةِ القُطْبِيَّةِ الشَّماليَّةِ.

ويُعْرَفُ الجُزْءُ الواقِعُ حَوْلَ القُطْبِ الجَنُوبيِّ بالمِنْطَقَةِ القُطْبِيَّةِ الجَنُوبيَّةِ.

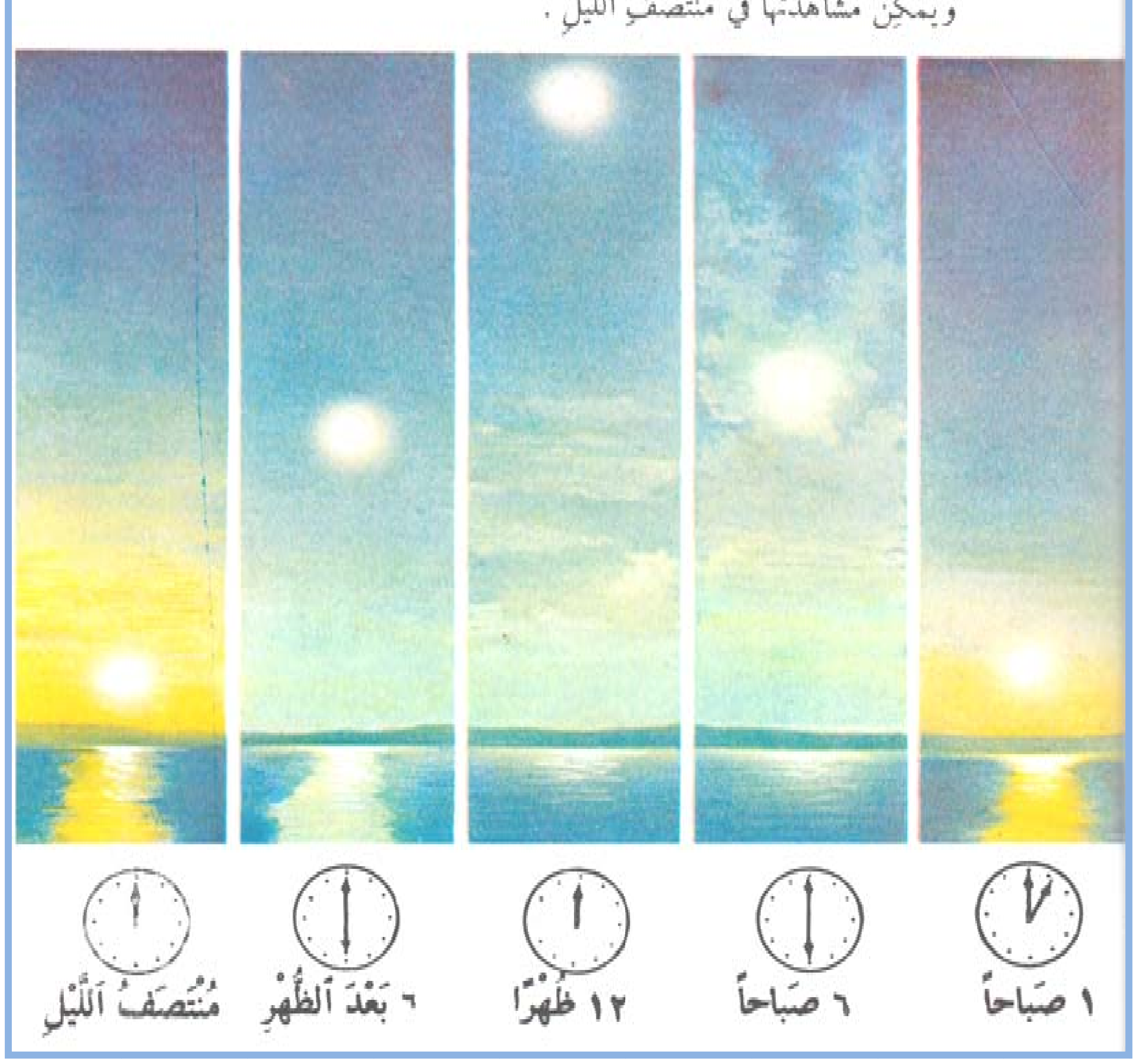
المِنْطَقَةُ القُطْبِيَّةُ الشَّماليَّةُ مُحيطٌ واسِعُ الأَرْجاءِ تُحيطُ اليابِسَةُ بِمُعْظَمِهِ.

أمَّا المِنْطَقةُ القُطْبيَّةُ الجَنُوبيَّةُ فكُتْلَةٌ مِنَ اليابِسَةِ يُحيطُ بِها البَحْرُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ.

شَمْسُ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ

يَدُومُ ٱلنَّهارُ (أَوِ ٱللَّيْلُ) بِضْعَةَ أَشْهُرٍ كُلَّ عامٍ بِٱلقُرْبِ مِنَ ٱلقُطْبَيْنِ ٱلشَّماليِّ وَٱلجَنُوبِيِّ ، وذٰلِكَ بِسَبَبِ مَيَلانِ مِحْوَرِ ٱلأَرْضِ وَهِيَ تَدُورُ حَوْلَ ٱلشَّمْسِ .

فَٱلشَّمْسُ لا تَغِيبُ طَوالَ فَتْرَةِ ٱلصَّيْفِ ٱلقُطْبِيِّ ، ويُمْكِنُ مُشاهَدَتُها في مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ .



لِمَ لَمْ يحدث هذا؟. لِمَ لَمْ تزدد المناطق القطبية علوّاً واتساعاً؟. لكنها تبقى محافظة على مستوى لا تتعداه منذ آلاف السنين؟.

هطول شبه دائم للثلوج ولا زيادة، لنتساءل:

أين تذهب هذه الكميات الهاطلة من الثلوج؟. وإلى أين؟. أين تختفي؟. وكيف تختفي؟. ولم يتسنَّى لمخلوق في الوجود عالماً أو باحثاً عبقرياً نابغةً أو امرءاً عادياً كشف سرّ مصير هذه الثلوج، وهل يُعقل ذلك؟. نعم وأي نعم.



أخي القارئ:

إذا فقدت مجوهرات ثمينة من صندوق لديك، أيعقل أنها اختفت وحدها، ألا ندرك عندها أن هناك يداً قامت بتصريفها!.

فأين هذه اليد؟. وكيف قامت بتصريف الجبال والسهوب الجليدية والأقطاب كلها؟.

أيها العلماء أيها الجغرافيون شرقيّون وغربيّون، أيها الباحثون، أيها المستكشفون ألديكم جواب تعطوه لنا؟.

وهذه المناطق الشاسعة الواسعة والتي تبلغ آلاف الكيلومترات من الجليد المتجمد كيف تمشي؟. كيف تتحرك؟. ما هي القوة المحركة لها؟. ما نوعها؟. ميكانيكية؟. هيدروليكية؟. دافعة؟. ماصَّة؟. نابذة؟.

وكم هي عظيمة تلك القوة الرهيبة التي تحرِّكها؟. نعم إن الكتلة القطبية بقضِّها وقضيضها وعظيم اتساعها وسماكة حجمها تنجرف كلها.

قضية الانجراف هذه أثبتها العالم النروجي "**نانسن**" الذي ذهب إلى المنطقة القطبية الشمالية على متن سفينة "**فرام**"، إذ انحصرت وسط الجليد هناك، وذلك بنهاية القرن التاسع عشر[1].

---

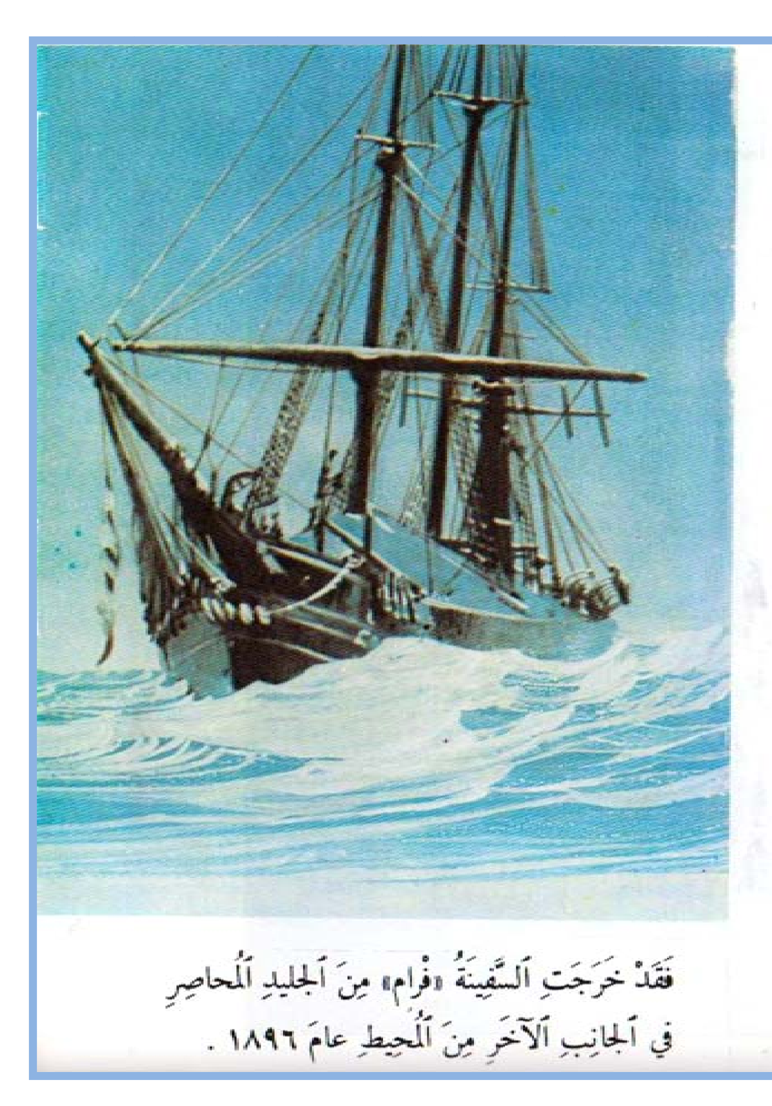
(1) انظر كتاب "**Lady bird**" سلسلة ليدي بيرد "المنطقتان القطبيتان" .

نانْسِن

في عامِ ١٨٩٣، قادَ المُستكْشِفُ النرويجيُّ نانْسِن، أحَدُ رُوّادِ المِنْطَقَةِ القُطْبيَّةِ الشَّماليَّةِ، سَفِينَتَهُ المُسَمّاةَ « فْرام » إلى مِنْطَقَةِ الجليدِ القُطبيِّ الشَّماليِّ، حَيْثُ انْحَصَرَتِ السَّفِينَةُ وَسْطَ الجليدِ هُناكَ.

لَقَدْ أرادَ أنْ يُثْبِتَ أنَّ الجليدَ القطْبيَّ يَنْجَرِفُ بِبُطْءٍ عَبْرَ المُحيطِ المتجمِّدِ الشَّماليِّ، وقَدْ تَحَقَّقَ لَهُ ذلكَ.





فَقَدْ خَرَجَتِ السَّفِينَةُ «فْرام» مِنَ الجليدِ المُحاصِرِ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ المُحيطِ عامَ ١٨٩٦ .

لقد أراد "**نانسن**" أن يثبت للعالم أن الجليد القطبي ينجرف ببطء وعبر المحيط المتجمد الشمالي، وقد تحقق له ذلك فقد خرجت سفينته "**فرام**" من الجليد المحاصر في الجانب الآخر من المحيط المتجمد الشمالي عام /**1896**/ بعد أن حُصرت عام /**1893**/ أي بعد ثلاث سنوات، وبذا أثبت للعالم أن القطب ينجرف كله.

ترى كيف تنجرف كل هذه الكتلة العظيمة الممتدة آلاف الكيلو مترات؟!. من الذي يجرفها؟. ولماذا؟. ولأي هدف؟. أعبثاً؟. أم مزاجاً متخبطاً عفوياً؟. قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ [1].

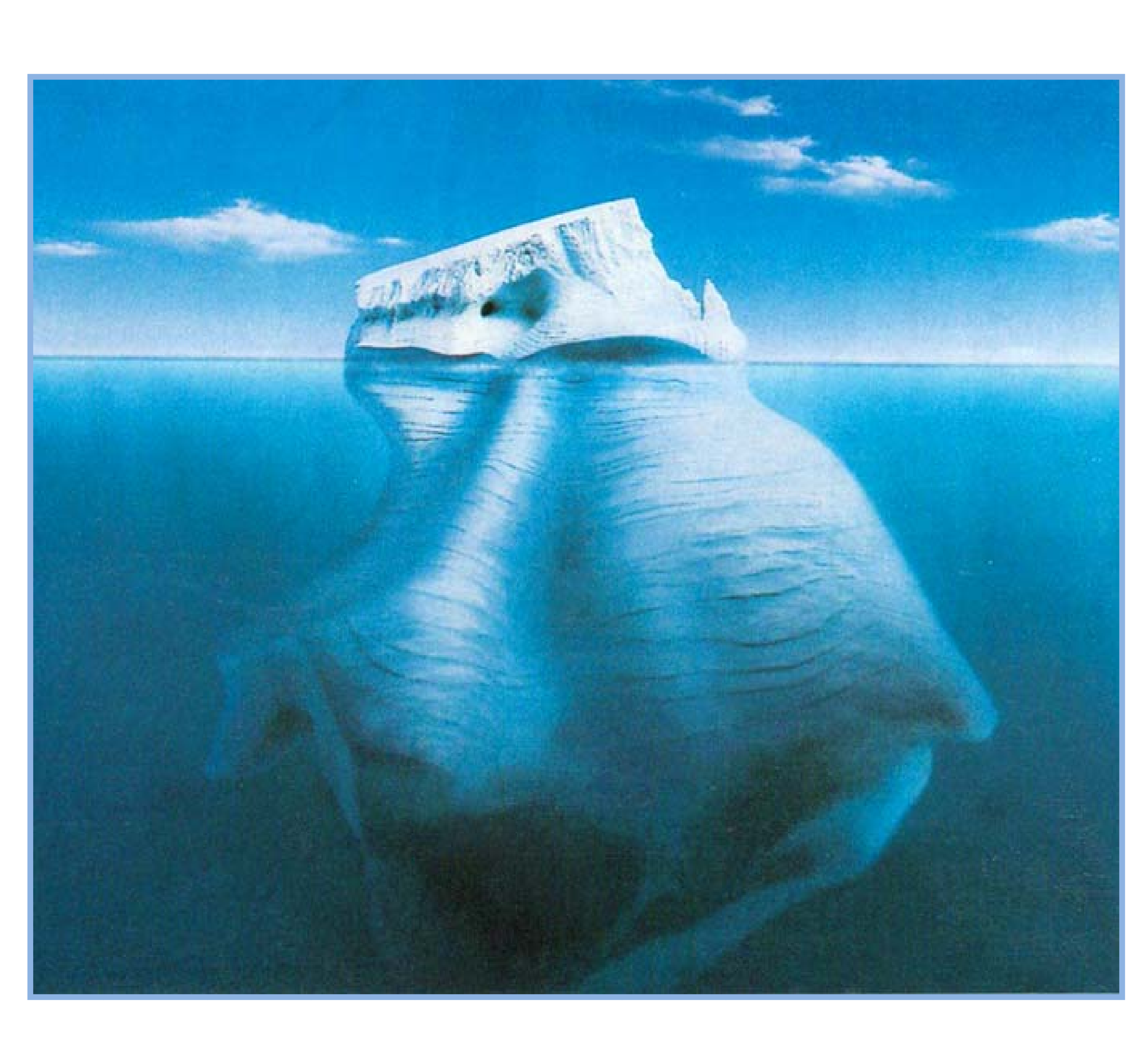
تعالَ نتصفَّح كتب العلم علّنا نهتدي إلى سبيل ــ تعالَ نرحل إلى غرينلاند **Green Land**.

لقد كتب العالم الطبيعي "**فرانكلين رصل**" تحقيقاً علمياً حول ظاهرة علمية مذهلة. لقد لاحظ ذلك العالم كما لاحظ غيره من العلماء الشرقيين والغربيين على حدٍ سواء أنه في منطقة واحدة من القطب الشمالي عند جزيرة غرينلاند، وهي المنطقة المحاذية للمنطقة القطبية الشمالية، ينشأ كل عام وكما أثبت الكمبيوتر أن هناك /**8000**/ جبل جليدي تتجدد في كل عام.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ. . .﴾ سورة الدخان : الآية (**38**) .

وهذه الجبال الجليدية تتحرك بدافع الرياح والعواصف، يصل منها إلى خليج ملفيل **Malfeel** /**5000**/ جبل جليدي فقط.

(1) سورة الدخان : الآية (38) .




ثمانية أتساع جبل الجليد
تبقى مغمورة تحت سطح
الماء

لقد تحيّر العلم البشري بزوال /**3000**/ جبل جليدي في المجهول وتحت الضباب وفي جو الشتاء المظلم القاتم الرهيب.

أين تتلاشى جبال الجليد هذه؟. ما تأويل هذه الظاهرة العجيبة؟. زوال /**3000**/ جبل!.

لغز حارت أمامه عقول العلماء وعجزت أفكارهم ووسائلهم أن تجد له جواباً، فأين علمكم أيها العلماء؟.

ألا تحب أن تعرف الجواب؟. ألا تحب أن تصل للحقيقة؟. ألا تحب أن تعرف مصدر مياه شربك وحياتك؟. إلى معرفة تمديدات هذه الينابيع التي تشرب منها، إنها لك مجاناً، لك وحبّاً بك، إنها من ربك العظيم الرحيم بك.

تعجب وأعجب وتعجّب الناس أين تذهب هذه الثلوج على مدى قطر يتجاوز /**4000**/ **كم**، لو لم يكن لها مصارف، أما ستغطي وجه الكرة الأرضية؟. أما ستنعدم الحياة؟. هل لهذه الطبيعة فكر؟. أهي تدير شؤونها؟. أهي التي تبخِّر مياه البحر؟. أهي التي تُنبت الزرع؟. أهي التي تنزل الأمطار والثلوج في أوقات معينة؟. ثم ما هذه الطبيعة ومن طبَعها؟.

أخي القارئ:

لا بد أننا عشنا في "**غرينلاند**" بين الجبال والجليد والثلوج وشعرنا ببرودة. إننا الآن بحاجة إلى الدفء إلى شمس بلادنا، ألا تصاحبني بهذه السفرة العقلية، لنذهب معاً إلى لبنان الحبيب إلى جبل "**بشِرِّي**" الشاهق حيث وجدنا على الجبل عشرات الينابيع، وهذه القرى على ارتفاع يقارب /**3**/ **آلاف متــر**

والبحر يحيط بها من جانب ومن الجانب الآخر هضاب وصحارى تمتد حتى آلاف الكيلومترات أخفض منها، والماء لا يصعد لأعلى.

فمن الذي يغذي هذه الينابيع؟. ومن أين تصعد؟.

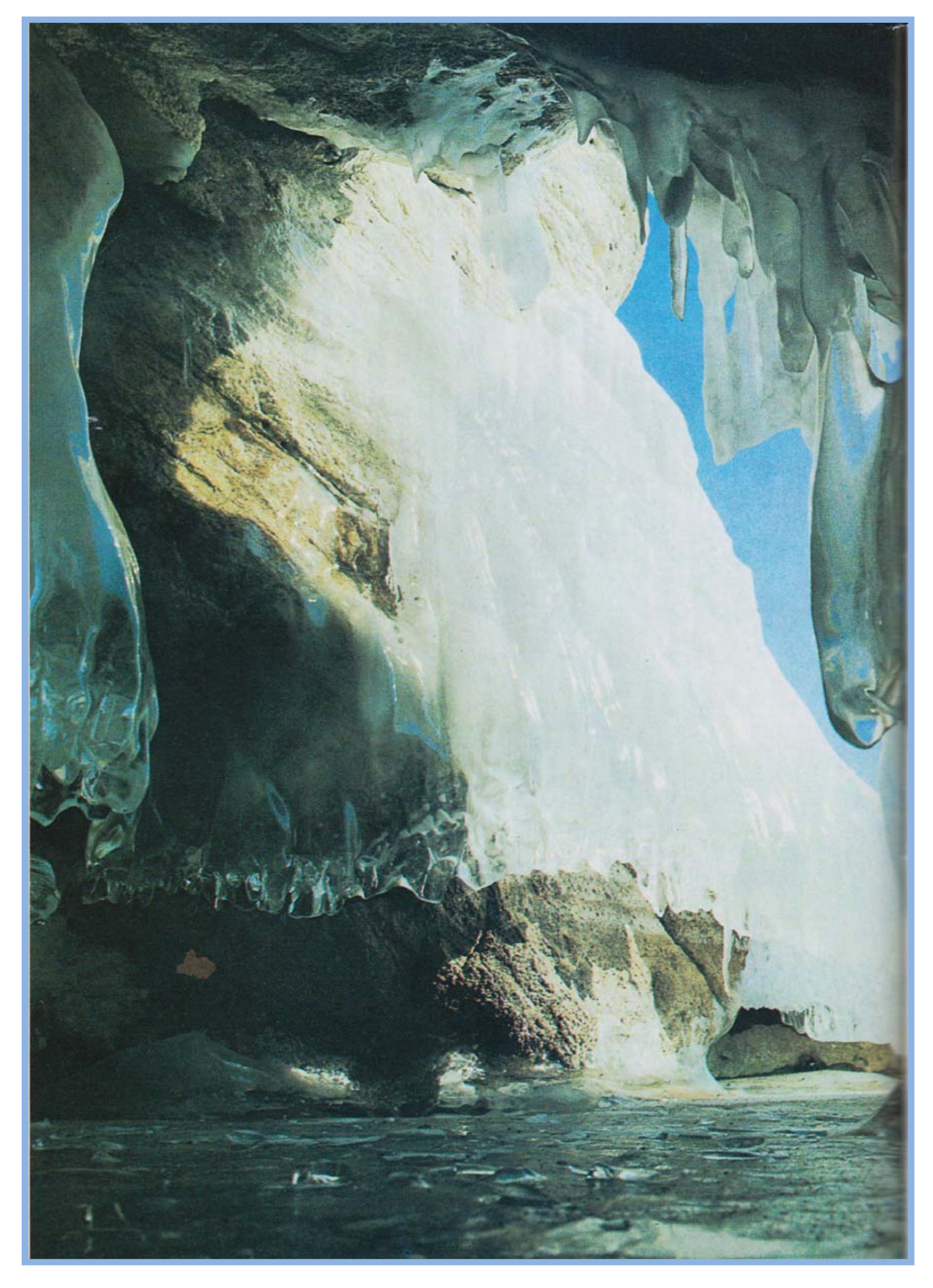
فهل ترانا مغالين أو مبالغين إذا قلنا إنها نظرية علمية جبَّارة!. وأن الإنسان الذي تصدَّى لحلِّها وحل كل الأسئلة هو إنسان عظيم حقاً!.

ثم لنرحل إلى مغارة "**جعيتا**" بلبنان، وقد زرناها وفيها الصواعد والنوازل، بحيرة في أعالي الجبال تجري بها الزوارق، كيف تشكّلت مثل هذه البحيرات، وكل ما حولها أخفض منها والماء لا يصعد من الأسفل للأعلى ولا يوجد ما يرفدها ويغذِّيها.

ثم دعنا نعود من لبنان إلى بلادنا الخضراء إلى ربوع شامنا الحبيب إلى دمشق أرض الأجداد ومهد الأنبياء ولنذهب إلى نبع الفيجة. هل أنت معي وتتابعني بهذه الرحلات والتساؤلات الفكرية وتشاهد ضخامة هذا النبع الغزير وبرودته العجيبة وصفاءه.

أخي إنك لن تستطيع أن تضع يديك أكثر من بضع ثوانٍ لشدة برودته، من أي ثلاَّجة يأتينا؟. ومن أي برّاد؟. إنه من برّادات رب العالمين، من ثلاجات القطب، إنه برّاد مساحته بأحد القطبين أكثر من **/14/ مليون كم2**.

ولكن كيف يأتينا؟. ماذا تقول هل هذا النبع من القطب؟.. هل يعقل؟. كيف؟. من الذي مدَّد وأوصل!. ما الدليل والبرهان؟.



مغارة جعيتا بلبنان

مهلاً وليكن رائدك الحلم والصبر وفي النهاية ستصل إلى ما تريد ويأتيك الجواب الذي تحل بـه أكـبر مشكلة واجهت عصرنا الحديث.

من أين جاءت برودة هذا النبع نبع الفيجة الذي يسقي سكان الشام؟...

إذا كان من الأمطار فهي لا تحمل هذه الدرجات من البرودة أضف إلى أن الماء إذا نزل لأعماق الأرض ازدادت حرارته درجة مئوية واحدة كل /**100**/ **م** عمقاً، وتأتينا هذه الينابيع من أعماق قد تصل إلى ألوف الأمتار.

إذاً من أين أتت هذه البرودة؟... ومن أين تأتينا هذه الينابيع؟... وكيف تأتينا من أعالي الجبال أحياناً ولا رافد يرفدها؟...

ثم إذا نظرنا نظرة أخرى ومسلَّم بها وهو أن الثلوج القطبية شبه دائمة الهطول، وهي تتغذى من مياه البحار، إذ تنصب أشعة الشمس على البحار غارفةً غرفات من مياهها على شكل أبخرة تحملها الرياح وتسوقها لتسقط أمطاراً.

فعلى هذا ستفقد مياه البحار كميات هائلة من مياهها في كل عام دون العودة. لتتجمع في الأقطاب ثلوجاً وبعد قليل من الأحقاب سوف تجف وتنشف كل مياه البحار والمحيطات.

لِمَ لَمْ يحدث هذا؟... وهل شاهدنا انحسار البحر عن **ميناء طرطوس** أو **مدينة اللاذقية!**...

ولكن كيف السبيل لحل هذه الألغاز المحيّرة، وهل توصَّلت حضارة القرن العشرين لحلها؟...

وهل صحيح أن مياه الأمطار هي التي تغذي الينابيع والأنهار؟...

أسئلة تصدّى لها **عالمنا الجليل** الذي اتقى الله فعلّمه تعالى حين سأل **السير** بينت **Sir Benet**، وذلك أثناء المباحثات في زمرة المناقشات التي جرت في الفصل الأول من هذا الكتاب. (والسير بينت عالم في مجال الطبيعيات و...) هذا السؤال.

والسؤال: هل توصلتم أيها الغربيون والشرقيون بعلومكم أن تدركوا كأس الماء الذي تشربونه من أين مصدره ومن أين يُمدُّ ينبوعكم؟.

لقد أجاب **السير بينت** بأن مياه الأمطار هي المصدر الأساسي لشربنا.

فردَّ عليه **عالمنا الجليل**: إن مياه الأمطار للمزروعات والحيوانات.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى، كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُوْلِي النُّهَى﴾ [1].

والإنسان مكرّم عند الله، إذ رتَّب له ترتيباً آخر- ما هو هذا الترتيب يا ترى؟... قال تعالى مشيراً لنا ذلك في كتابه العزيز:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ [2].

وتابع عالمنا حديثه **سائلاً**: أعندكم في بريطانيا نهرٌ كبيرٌ؟...

أجاب: نعم، وتجري البواخر فيه، يسمُّونه "**نهر التايمز**".

---

[1] سورة طه: الآية (53- 54). [2] سورة طه: الآية (53).



نهر التايمز

فقال له: هل تكفي كميات الأمطار الهاطلة على بريطانيا كلها أن تغذي ذلك النهر طـــوال العـــام؟.

وبمسألة حسابية بسيطة قام بها السير بينت حيث حسب غزارة النهر:

رقماً من الأمتار المكعبة × 3600 بالساعة × 24 باليوم × 365 بالسنة

ثم حسب غزارة المطر الوسطية على سطح بريطانيا فوجد أن كمية المياه الهاطلة على بريطانيا لا تكفي لتغذيته إلا أسبوعاً واحداً فقط.

هنا سأله عالمنا الجليل من أين يتغذى النهر الواحد والخمسون أسبوعاً الباقية من العام!.

ولَمَّا عجز **السير بينت** عن الجواب، ردَّ **العالم الجليل**:

"إنها مياه ثلوج وجموديات القطب"

وبدهشة واستغراب ارتسمت على وجه السير بينت سأل: ولكن كيف يحصل ذلك؟...

فأجابه: تعلم أيها "السير" أن الثلوج يتواصل هطولها في المناطق القطبية بشكل شبه مستمر طوال العام، وأشعة الشمس ضعيفة خافتة ضعيفة الفاعلية كضوء القمر.

ولو لم يكن لهذه الثلوج والجبال مصارف وفوهات عظمى في قاع المحيط المتجمد لبلغت حداً في الارتفاع والاتساع لا يوصف ولاستحالت الحياة. كما أن الضغط الهائل الذي تولِّده الأراضي الجمودية والجبال الجليدية على قسم من سطوح قاع المحيط المتجمد الشمالي الذي يبلغ عمقه الوسطي أكثر من **/3000/ متر** في أغلب الأحيان، وعلى أراضي القطب الجنوبي المتجمد أيضاً.



ومن المعروف علمياً بأننا كلما نزلنا تحت سطح الأرض /**100**/ **م** تزداد درجة الحرارة درجة مئوية واحدة. وهذا ما يفسِّر لنا كيف أن مياه الينابيع تأتينا باردةً عذبة نقية رغم أنها تخرج من باطن الأرض، ومن أعماق كبيرة قد تصل إلى ألوف الأمتار، وحسب القوانين العلمية فمن المفروض أن تخرج ساخنة، حيث تكتسب حرارة باطن الثرى، ولكن هذا لم يحدث.

إن الضغوط الكبيرة التي تشكِّلها هذه الجبال الجليدية فوق الفتحات الهائلة (**المصارف**) تجعل مياه هذه الجموديات الملامسة للفتحات (**المصارف**) تميع وتندفع في هذه المسالك الحارّة، والحرارة الموجودة في باطن الأرض تساعد الجليد على الذوبان والسيلان السريع المتدفِّق، والتي تتشعب متدفِّقةً لتغذّي كل الينابيع والأنهار على سطح هذه الكرة (**كرتنا الأرضية**).

وبهذا تحافظ على برودتها نتيجة التدفُّق السريع والمتواصل عبر المسالك، كما وأن ارتفاع مستوى القطب الشمالي عن مستوى الأرض مع ميلان الأرض المحوري ودورانها حول نفسها اليومي والسنوي ما يفسِّر لنا صعود المياه إلى أعالي الجبال في العالم والتي يصل ارتفاعها في بعض الأحيان إلى أكثر من /**3000**/ **م** وبعض هذه الينابيع يأتينا مباشرةً من القطب إلى النبع وهذا ما يفسِّر برودته الشديدة، وبعضها الآخر أقل برودةً بسبب أن مسالكه تنصب في خزانات في الجبال لتغذي ينابيعاً أخرى أقل برودةً.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

---

[1] سورة الأنبياء: الآية (31).



﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾: جبالاً لئلا: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾: حتى لا تضطرب في دورانها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً﴾: في الجبال مستودعات للماء ويخرج بمعايير، أليس هذا دليلاً على الله.

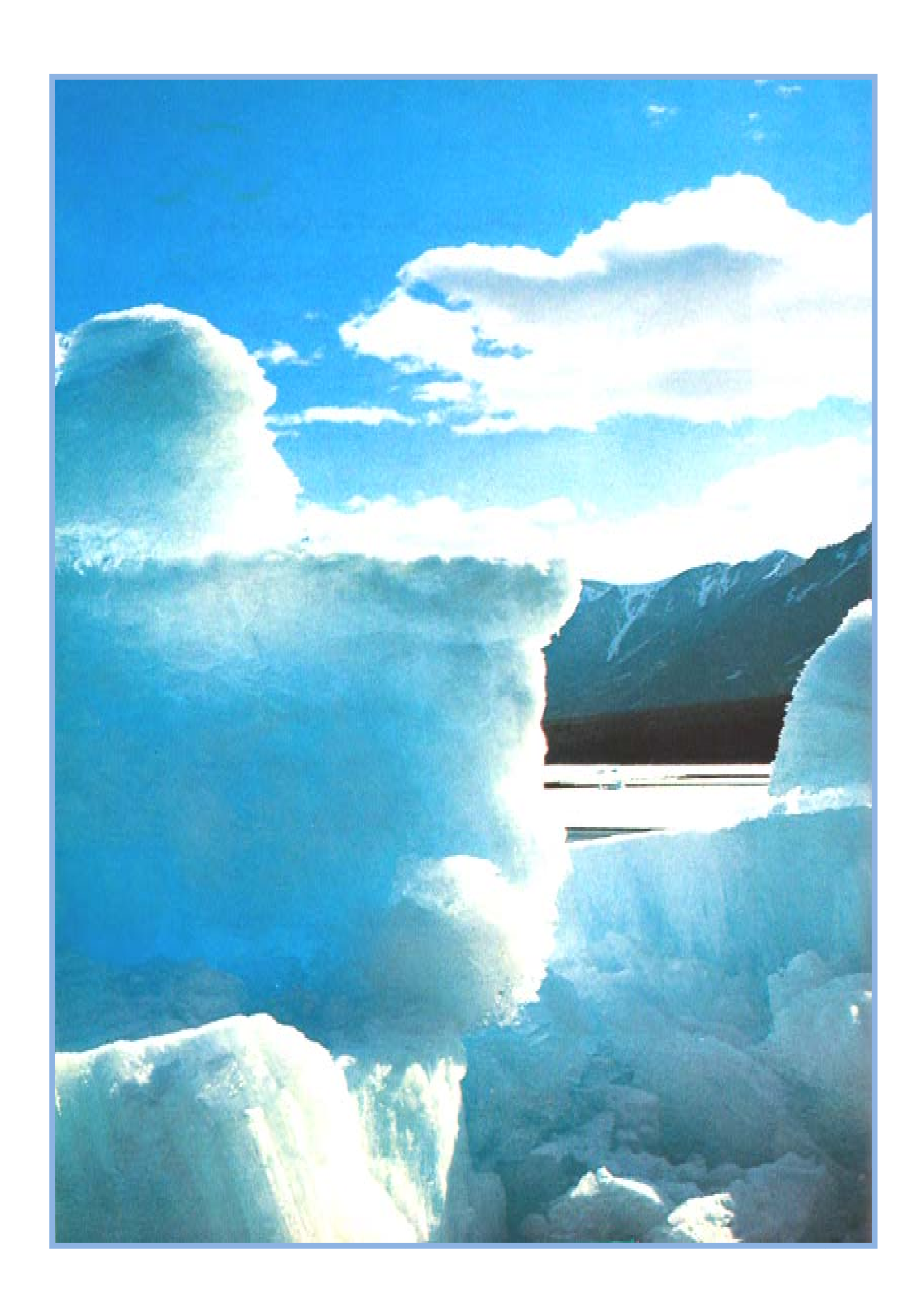
﴿سُبُلاً﴾: أي: ينابيع عيوناً، العيون الكبيرة تشكِّل الأنهار والعيون الصغيرة تشكل الينابيع، فمن مدّد طريقها تحت الأرض!. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: إن فكَّروا بهذا: ﴿يَهْتَدُونَ﴾: إلى الله تعالى ومعرفته، إن لم تفكِّر فلن تهتدي...

وهذه الينابيع والأنهار تُحافظ على غزارتها لتغذيتها الدائمة من القطب عبر هذه المسالك. وهي تأتينا دائماً بمعايير ثابتة دقيقة منظَّمة طوال العام باستثناء فترات زمنية قصيرة جداً يزداد فيها مستوى الماء في الأنهار في نهاية فصل الشتاء وقدوم فصل الربيع نتيجة رفدها بمياه الأمطار وذوبان الثلوج ربيعاً عبر الأحواض الصبّابة. ثم يعود النهر إلى غزارته المعهودة طوال العام.

يتبيَّن لنا مما سبق أن هناك توازناً عجيباً وقوانين صارمة في الدقة، قوانين الإله الرحيم تضبط كل هذه الأمور بحيث لا طغيان لواحدة على أخرى أبداً.

تصريف دائم من الينابيع والأنهار يقابله تراكم دائم من الثلوج على مدار السنة، وضمن معايير دقيقة جداً. لم يستطع العلم البشري الآن كشف أسرارها.

ما أعظم هذه الخزانات القطبية!... من الذي يصونها ويرممها كل عام لنا ولأجل خاطرنا لننعَّم ونُكرم، أي يدّ عظمى رحيمة تشرف على هذه العناية!... دائماً كرماً وإغداق حبٍّ وعطفٍ وحنانٍ، كله من أجلنا ونحن لا ندري.



﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[1].

هل تخزنه أنت؟... لو نزل المطر شتاء فمهما كانت له خزّانات، ماذا تعمل صيفاً؟... هل فكَّرت بالينابيع ومقادير مياهها التي تمر طوال العام؟... ألا تفكِّر بمستودعاته؟... من الذي رتَّبها، أين وُضعت، ألا تنضب؟... فكِّر بهذا لتصل للإيمان.

وهنا أذهلت هذه الحقيقة **السير بينت** وعلَتْ علامات الدهشة والاستغراب وجهه وقال: عجب لي طيلة حياتي لم يخطر هذا السؤال لي على بال. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[2].

ومما يتبيَّن من خلال الآية الكريمة أنَّ هذه المياه القطبية يسلكها تعالى بواسطة مجاري تحت الأرض.

وهنالك التيارات الجارفة تمرُّ من تحت البحار وهنالك أحد هذه التيارات الجارفة بعد ابتعاده من الساحل الأمريكي واسمه **الجرف الأطلسي الشمالي** وسرعته من خمس إلى ست عقد وبالاتجاه الشمالي الشرقي غير أن هذا التيار وإن كان واضح المعالم فهو لا يتعدى المياه القريبة من السطح، فعلى عمق حوالي /**350**/ م يكاد أثره يختفي، كما عثر الباحثون على تيار كبير آخر يجري تحت الـ **غولف ستريم Golf Stream** وبالاتجاه المعاكس (تستعمل كلمة "**غولف ستريم**" للتيارات ذات الحدود الواضحة).

[1] سورة الحجر: الآية (22).
[2] سورة الزمر: الآية (21).

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ﴾



صورة حقيقيّة للموج الذي يغشى البحار اللُّجّيّة (العميقة) تحت آلاف الأمتار من سطحها، وقد اكتُشفت هذه الأمواج حديثاً، ولم يكن الإنسان يعرف عنها شيئاً قبل سنة ١٩٧٠ (عن كتاب التيّارات البحريّة بالفرنسية، منشورات لايف، أمستردام، صفحة ١٢٣)

تجري تيارات العالم السطحية باتجاه عقارب الساعة في نصف الكرة الأرضية الشمالي وفي الاتجاه المعاكس في النصف الجنوبي وتسمى "**دوَّامات**".

في نصف الكرة الأرضية الشمالي دوّامتان كبيرتان اتجاههما اتجاه عقارب الساعة في شمال **المحيطين الأطلسي والهادي**، وفي النصف الجنوبي ثلاث دوّامات ذات اتجاه معاكساً في جنوبي **الهادي والهندي** تحت سطح الماء تجري تيارات قد يكون اتجاهها معاكس لاتجاه التيارات السطحية المالحة، هذه التيارات التي تمر تحت سطح الماء المالح على عرض البحر: هي مياه عذبة.

ولقد أشار تعالى إلى هذه التيارات البحرية المائية التي تمر تحت **المحيط الأطلسي والهادي** من مياه عذبة أو باردة تحت المياه المالحة في هذه المحيطات بالقرآن الكريم في قوله تعالى مبيناً ذلك الواقع بمثال يدلُّ على هذه الحقيقة أو نستنبط منه هذه الحقيقة.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[1].

فالله تعالى يقول: إن حقيقة هذا الإنسان المعرض الأعمى الذي لم تتفتح عنده عين البصيرة ظلّ أعمى، فإن جاءه الموت نظر إلى أعماله فأخجلته وكانت عليه ظلمات بعضها فوق بعض كظلمات هذا البحر اللجي "**اللجي أي: شديد العمق**".

إن هذه الآية الكريمة هي عبارة عن مثال كغيرها من الأمثلة المذكورة في القرآن الكريم ولا شك أن هذه الأمثلة هي عبارة عن حقيقة موجودة في هذه الحياة مثلاً: قال تعالى:

---

[1] سورة النور: الآية (40).

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[1].

لا شك أن هناك قرية قد جاءها المرسلون، وبآيةٍ أخرى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[2].

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ. . .﴾[3].

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ. . .﴾[4]. الخ.. من هذه الأمثلة.

وهذا المثال المذكور بسورة النور ينطبق تماماً على هذه الواقعة في المحيط الأطلسي والهادي، فالأطلسي والهادي هما أكبر وأعمق محيطين، ولقد ذكر تعالى كلمة (**بحر لجي**) وتعني العمق الشديد، لا شك أن هذا البحر اللجي أعمق من كل البحار والمحيطات. وبما أنه من المعروف أنَّ المياه تعكس نور الشمس وخاصةً المالحة وذات الأمواج المتحركة فكلما ازددنا عمقاً ازداد الظلام، أما الإشارة الثانية في قوله تعالى: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾. تشير إلى موجين ولا شك أنَّ أحد الموجين يختلف عن الموج الآخر، إنَّ الموج الأعلى هو موج البحر ذو المياه المالحة، أما الموج الثاني الأسفل ذو الجريان السريع فهو بارد وعذب.

فنور الشمس يحجبه السحاب المتراكم ومياه البحار المالحة ومياه الجرف أو البحر الأسفل البارد تحجب من تحتها هذه المياه العذبة الباردة، وهذا مما يزيده بالظُلمة وتحت الـــ **غولف ستريم** الذي يجري باتجاه الشمال الشرقي على طول الاتجاه الشرقي من **الولايات المتحدة** تيار كبير بارد **"ماء عذب"** يجري مـــن

---

(1) سورة يس: الآية (13).
(2) سورة البقرة: الآية (17).
(3) سورة الكهف: الآية (32).
(4) سورة الأعراف: الآية (176).

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾



حتى هذه الصورة وقد أُخذت بواسطة أخصّائيين في دراسة المحيط والطقس وفي أوج العاصفة البحريّة الهوجاء التي تجتاح المحيط لا تستطيع أن تعطي الصورة الواضحة التي توحيها إلينا كلمات القرآن الكريم في وصف أعمال الكافرين الضائعة وسط الظلمات.

المنطقة القطبية الشمالية باتجاه الجنوب في شمال المحيط الأطلسي. ينشطر الـــ **غولف ستريم** إلى فرعين، يجري أحدهما على طول الساحل الشرقي لـــ **غرينلاند Green Land** وأوروبا الشمالية والجنوبية بينما يعود الفرع الثاني باتجاه الجنوب ليُكمل دوامته، في نصف الكرة الأرضية الشمالية.

تجري التيارات السطحية الباردة عادةً باتجاه الجنوب، أما في النصف الجنوبي فتجري المياه الباردة حول المنطقة القطبية، بينما تجري تشعباتها باتجاه الشمال في المناطق المدارية وشبه المدارية.

وهذا ما يعلل لنا جريان نهر **النيل والعاصي** وغيرها باتجاه معاكس للأنهار الأخرى "وهذا واضح بسورية من تسمية العاصي"، فمعنى ذلك أن مصادر مياه ينابيع وأنهار الأرض ينساب قسم منها من جموديات القطب الشمالي ومن جموديات القطب الجنوبي، القسم الباقي من الأنهار ذات الاتجاه الشمالي الجنوبي مصدرها جموديات القطب الشمالي ومنها ذات الاتجاه المعاكس من الجنوب للشمال **كالعاصي والنيل** فمصدرها جموديات القطب الجنوبي، وبمرور هذه التيارات العميقة المدى على عرض البحار القادمة من القطبين تحت طبقات عميقة من المياه المالحة السريعة الجريان تمر عابرةً دون امتزاج وتخرج منه في الوقت نفسه إلى أمكنة نبعها الثاني وتدفُّقها وجريانها على شكل أنهار وبحيرات وينابيع دون أي امتزاج مع الطبقات العليا والسطحية المالحة أو الحارَّة، كما تتواجد الينابيع العذبة حتى في المناطق العميقة في البحر الأبيض المتوسط وعلى شواطئ اليونان **(في منطقة كورنيف)**، وفي المحيط الأطلسي على شواطئ **المغرب (قرب أغادير)**، وفي شبه جزيرة **فلوريدا**، وفي مناطق أخرى هنا بسورية بجزيرة أرواد وبمنطقة اللاذقية تخرج المياه العذبة من قاع البحر حيث إنها أخف وزناً من المالحة و لا تختلط معهـــا ثمَّ

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾



صورة أُخذت بالطائرة (مصب إحدى الأنهار في البحر ويبدو واضحاً الحاجز أو البرزخ بينهما)

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾



﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾: تبدو مياه « تيّار الخليج » الدافئة باللون البرتقالي ومياه تيّار « لابرادور » الباردة باللون الأزرق الغامق وهي منفصلة تماماً عن بعضها.

ترتفع حتى أعلى سطح البحر، ويستعملها البحارة وصيادوا الأسماك لزيادة احتياطيّهم من الماء العذب.

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ سورة الفرقان : الآية (**53**) .

1ـــ المياه والبحار والبحيرات الجوفية واللجية العميقة: البحار المالحة أعلاه (الحاجز صلب) والعذبة الحلوة أسفله وبينهما التربة والصخور للقشرة الأرضية، كما في جزيرة أرواد في البحر الأجاج ومحاطة بالمياه المالحة وتنبع وتُخرج الآبار المياه العذبة الصافية من تحت البحر: هنا جعل تعالى بينهما برزخاً، إذ الماء العذب ليس مختلطاً بالماء المالح، بل يخرج من باطن الأرض وتحت البحر المالح فالفاصل والحاجز هو أرض سفح البحر وهو **حاجز صلب** وتنطبق عليه الآية:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ .

في الجبال حول البحار وفي البحار وبجوفها **"والحاجز صخور وتراب"** صلب، والجزر في البحار المالحة ومن جوفها ينابيع عذبة.

2ـــ تيار الخليج وتيار "**لابرادور**" وغيرها من المياه العذبة "والحاجز مائي" سائل، وهو للقسم الأول من الآية:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ .

3ـــ القطب الشمالي جليديات وثلوج عذبة في البحار المالحة "والحاجز مائي" سائل.

4ـــ القطب الجنوبي جليديات وثلوج عذبة وحولها بحار مالحةٌ "**صلب**" الحاجز سائل: مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملحٌ أُجاج.

الحاجز: **صلب من الصخور**: بينهما برزخاً وحجراً محجوراً: حاجزاً للمياه من الاختلاط والاتحاد، ومحجوراً بواسطة الصخور.

مرَجَ: مررهما دون اندماج واختلاط واتحاد بسبب الكثافة والوزن.

ومن المعروف أن الصحاري أيضاً توجد في أعماقها طبقات هائلة تحوي الماء في الصحراء الكبرى التي تعتبر أكبر صحاري العالم والتي مساحتها تزيد على مساحة قارة أوروبا.

يوجد حوض ارتوازي يحتوي على أكثر من /**12000**/كم**3** من الماء. أي أكثر مما يحويه بحر **آزوف** **بـــ /40/ مرة**. فمن أين يستمد هذا الحوض ماءه؟... أيعقل أن يكون كما يقولون أنه يحصل على الماء من الأمطار الهاطلة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وهو أكبر من بحر **آزوف بـــ /40/ مثْل!**... لا شك أنه يستمد مياهه من إحدى القارتين القطبيتين.

وفي **الاتحاد السوفييتي** توجد الطبقات الغنية بالماء بما فيها الارتوازية في صحارى "**قره قوم** " و "**قيزيل قوم**" وفي صحاري أخرى.

إن أكبر حوض ارتوازي في العالم هو حوض غرب **سيبيريا** المتوضع بين **الأورال** في الغرب و **نهر ينيسي** في الشرق. ويشغل مساحة أكثر من /**3**/ **ملايين كم2**، وتوجد الأحواض الارتوازية الكبرى أيضاً في القسم الأوربي من **الاتحاد السوفييتي** (**حوض موسكو وحوض دنيبرو– دونيتسك..... وغيرها**).

إن هذه المياه العذبة الموجودة في هذه الأحواض الضخمة ليس من المنطق الواقعي أن نقول: إنها من مياه الأمطار الهاطلة، وإنما من **القارة القطبية الشمالية** حتماً المجاورة لها.

وبذا يتلخَّص لدينا أن:

المناطق القطبية خزَّانات كبرى لمياه شربنا الباردة النقية، والجبال خزَّانات مؤقتة فرعية لها وفتحات الينابيع ثابتة سنوية، والأمطار والثلوج على مناطقنا لسقاية نباتاتنا وبهائمنا المسخَّرة لنا، والإنسان هو المكرّم بمياه القطبين الدفّاقة الرقراقة التي تنساب لكؤوس وأباريق شربنا، فكم فضَّلنا المولى الكريم على كثير مما خلق تفضيلاً.

قال تعالى في (**سورة العاديات**)[1]:

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾: **وأَثَرَ**: بمعنى نقل وحفظ، ومنه الحديث المأثور عن الرسول ﷺ. أي: المنقول والمحفوظ.

والنون في كلمة (**أثرن**) إنما تدل على صفات الله تعالى، أي: أسمائه الحُسنى من رحمة وإحسان وعطف وحنان وغيرها من صفات الكمال.

والهاء: من كلمة (**به**) إنما تدل على ذلك النظام الذي صار بواسطته نزول الأمطار. **والنقع**: هو الماء المجتمع. ويكون مجمل ما نفهمه من آية: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾.

أي: وإنني يا عبادي برحمتي وإحساني وعطفي وحناني نقلت لكم بذلك النظام البديع مياه الأمطار وحفظتها لكم في تلك المستودعات "المستودعات القطبية" ﴿فوسطن به جمعاً﴾.

---

(1) انظر كتاب تأويل جزء عمَّ (سورة العاديات) للعلامة محمد أمين شيخو ص90 .

ووسط الشيء أي: جعله في مكان متوسط والنون في كلمة (**فوسطن**) تعود أيضاً على صفات الله تعالى. "**والهاء**" من كلمة (**به**) ترجع إلى النقع، أي: الماء المجتمع.

وكلمة (**جمعاً**) تعني: جميع المخلوقات الحية من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ.

ويكون مجمل ما نفهمه من آية: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾:

أي: إنني برحمتي وحناني وما إليها من صفاتي سيَّرت لكم ذلك الماء المجتمع من فتحات معيَّنة وبمعايير مناسبة، فكانت منه العيون والأنهار التي تجري متخللةً الأرض من حيث تستفيدون منها جميعاً.

من الذي يقوم بصيانة وتنظيف وترميم المجاري والمصارف الأرضية لهذه المياه القطبية، بل ويمررها إلى كل جزيرة ومدينة وقرية، بالجزر العالمية بمقادير منظَّمة ثابتة طوال العام من أجل خاطرنا نحن البشر؟.

لا مسيِّر سواك ولا مكرم إلاَّ أنت يا ذا المن والفضل ومزيد الإكرام يا الله.

جزاك الله عنا أيُّها العالِم الجليل كل محبّة، كل ودّ، كل احترام، كل تقدير، فأنت أهل للتقدير بسمّوك العالي وحبك لله وعلمك من الإله علماً شهودياً، نرجو الله الكريم أن يوصلنا إليه بفضله العظيم إنه قريب مجيب دعوة الداع من قلب صادق خاشع طالب مستقيم بالحق سالك إذا دعاه.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1].

ولك الحمد خالصاً يا رب العالمين.

---

(1) سورة البقرة: الآية (282).

